هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية في العصر الأموي

د. عبد الله إبراهيم العسكر

1 ـ 1 التمهيد :

إن هذه الدراسة تعتريها صعوبات متعددة، يأتي على رأسها قلة المصادر المعاصرة. والموجود منها لا يتعرض لليمامة وسكانها من بني حنيفة بالقدر الكافي. فلا تزال مدن اليمامة وقراها مطمورة تحت الرمال، لا يُرى من آثارها ما يستطيع الباحث أن يستعين به في حل كثير من الألغاز التاريخية العالقة. ولم تقم حتى الآن أية حفريات جادة وواسعة، سوى حفريات قليلة في منطقة الخرج. حيث أشارت تلك الأعمال إلى وجود ثلاث فترات معمارية لا يوجد بينها أي رابط، وكل منها يشخّص فترة استيطان مستقلة، وقد انتهت بنهاية القرن الخامس الهجري(1). وهو أمر يصعب تصديقه في ضوء أخبار تاريخية متواترة عن وجود حياة اقتصادية عامرة في منطقة اليمامة حتى منتصف القرن الثامن الهجري(2).

إزاء هذا الوضع اعتمدت بشكل تام على بعض المصادر التاريخية والأدبية . وجمعت بعض المعلومات المبعثرة والمشتتة ونسقتها ، وحاولت قدر جهدي أن استخلص من تلك المعلومات صورة لواقع هجرات قبيلة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية في العصر الأموي . ورغم ما بذلت من جهد فقد ظل كثير من النقاط غامضًا ومبهمًا ، الأمر الذي اضطرني لتوضيحها ، إلى الاستعانة بالمعلومات المتوفرة عن الأمصار والقبائل والعشائر الأخرى ، وعلى وجه الخصوص عشائر بكر بن وائل ، أو ربيعة ، أو حتى عشائر لاتمت إلى بني حنيفة بصلة النسب ، ولكن تمت إليها بصلة الجوار المكاني مثل باهلة أو بني نمير . ومع هذا سيظل ما يُكتب عن هذا الموضوع يعتريه النقص ؛ لأن مصادره قليلة وناقصة وفي بعض الأحيان غامضة ومتناقضة ، مما يجعل من الصعب توافقها ، مثل صعوبة ـ كما يُقال ـ التفريق بين الغابة والأشجار .

وتطلبت طبيعة البحث كتابة هذا التمهيد ، الذي سيتناول نبذة موجزة عن أقدم الهجرات العربية ، مع إلمامة بالهجرات العربية قبيل الإسلام . ثم التحدث بصورة مبسطة عن الهجرات العربية في الإسلام وهو المبحث الأول . أما المبحث الثاني فسيكون عن قبيلة بني حنيفة في صدر الإسلام . ثم دراسة وضع القبيلة في العصر الأموي وعلاقته بالمكان . ويبدأ المبحث الثالث من هذه الدراسة بتبيان أسباب هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية . ثم تحليل تاريخي لهجرات بني حنيفة . أما المبحث الرابع فيتتبع من منظور تاريخي / جغرافي لهجرات بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية . حيث يناقش هجراتهم إلى البصرة والكوفة في العراق . ثم هجرات القبيلة إلى المشرق الإسلامي ، وهجرتها إلى الشام . وأخيرا هجرتها إلى مصر وشمال إفريقيا والأندلس .

وفي هذا السياق فلعل أقدم هجرة يعيها التاريخ خارج الجزيرة هي هجرتهم

نحو أرض بابل(٣). فقد أخذ البابليون - الذين عرفوا أحيانا بالأكديين - والكلدانيون والآشوريون في الهجرة إلى وادي الرافدين. وذلك في فترات من القحط بالغة الخطورة(٤). لقد استقر الساميون في العراق بعد إزاحة السومريين من مناطقهم. وورثوا حضارتهم. وكان البابليون أحفاد الساميين الأول هم من شاطر المصريين الفخر في وضع الأسس للميراث الثقافي في الشرق الأوسط.

أما أقدم هجرة عربية من جزيرة العرب إلى مصر فترجع إلى نهاية عصر ما قبل الأسرات أي حوالي سنة ٣٥٠٠ق.م.(٥) وكانت مصر الفرعونية تطلق على العرب الذين جاءوها من جزيرتهم اسم (العامو أو الشاسو)(٦). وأسفرت تلك الهجرات، كما يقول مؤرخ معاصر، عن إقامة علاقات بين الجانبين، منها العسكرية والاقتصادية، كما نقل المهاجرون آلهتهم ولغاتهم إلى مصر. ولعلنا نجد مصداق هذا في النتائج التي أسفرت عن هذا التواصل في عصر متأخر وهو عصر البطالمة؛ الذي يكاد يكون معاصراً للدول العربية المبكرة ودويلات المدن العربية، التي ازدهرت في شمال شبه الجزيرة العربية وجنوبها. ويكاد يكون متسقًا في مظاهر حضارية متعددة؛ لأن كلا الفريقين أولى اهتمامًا خاصًا بالتجارة والنقل البحري والبري(٧).

١ - ٢ الهجرات العربية قبل الإسلام:

لعله من نافلة القول الإشارة إلى أن آخر هجرة عربية خرجت من جزيرة العرب قبيل الإسلام إلى الشام ومصر هي تلك التي قام بها بعض بطون خزاعة(٨). وهنالك خبر ورد في المصادر الغربية مفاده أن عددًا من العرب كان يقطن في الإسكندرية. ولقد أشار المؤرخ شارب إلى أن العرب كانوا يشكلون جزءًا مهمًا في جيش كسرى الذي فتح به مصر سنة ٦١٨م(٩).

يروي ابن عبد الحكم في تاريخه من أن عمرو بن العاص استعان بعدد من

عرب الجزيرة القاطنين في الاسكندرية عندما جاءها فاتحًا. وكان هؤلاء العرب يجيدون اللغة القبطية. ويضيف المؤرخ نفسه أن عددًا من العرب كانوا ضمن الجيش الروماني إبّان الحصار الإسلامي لحصن بابليون(١٠). وللمقريزي حديث طويل بخصوص هجرة عرب الجزيرة إلى مصر، وكان ينقل عن المسعودي الذي يرى أن العرب هاجروا إلى مصر قبل الإسلام بأعداد كبيرة. وهو قول لا شك يحتاج إلى قدر من التحري والتدقيق قبل قبوله. وقد لاحظ هذا الأمر المؤرخ بتلر(١١).

١ ـ ٣ الهجرات العربية في الإسلام :

ما ارتبط أمر من الأمور الاجتماعية بالفتوح الإسلامية مثل أمر الهجرات العربية وعلم النسب العربي. هذا الثالوث يشكل تراكمًا معرفيًا مترابط الأجزاء. يؤثر بعضه في بعض. ولا يمكن دراسة أحدهما دون معرفة الآخر. ولم يعد في الإمكان ـ في ضوء البحوث الحديثة ـ التقليل من شأن الهجرات العربية لمناطق الفتوح، لا من حيث العدد أو التأثير. بل يتعداه إلى التأثير في اتجاه الفتوح نفسها وفي الصراعات القبلية العربية، والتي بدورها أدت فيما أدت إلى نشوء شجرة النسب العربية التي نعرفها اليوم.

يقول بندلي جوزي في معرض كلامه عن الهجرات العربية إن الإسلام ليس فكرة دينية بحتة. بل هو نظام اقتصادي واجتماعي وسياسي، يجعل من الممكن لأتباعه أن ينتقلوا بين بلدان الفتوح(١٢). وأضيف إلى قول بندلي جوزي أن الهجرات والفتوح أدت إلى الاهتمام بالأنساب وبتغيير التحالفات القبلية القائمة على النسب. وذلك بسبب الدين أو الاقتصاد أو الاجتماع.

ويرى فيليب حتي أن الهجرات العربية التي صاحبت حركة الفتوح هي أعظم حدث عرفه التاريخ الإسلامي. وينبه إلى أن مؤرخي العرب القدامى أنفسهم لم

يتعاموا عن الناحية الاقتصادية في تعليل الفتوح، وهي النظرية نفسها التي قال بها الأمير كيتاني وبيكر، فقد ورد في حماسة أبي تمام بيت من الشعر يجمع شتات تلك الآراء وهو(١٣):

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر

ونحن نقف في تلك القضية موقف الوسط، ونؤكد أن الدين هو العامل الأول في دفع العرب إلى مناطق جديدة خارج مواطنهم الأولى. ونعتبر أن النزوح العربي الذي جاء في شكل جيوش الفتح هو الموجة الأكبر من موجات النزوح المتواصل على مدى سنوات متتالية، من البادية القاحلة أو من المستوطنات الزراعية والتعدينية إلى ما يجاورها من أنحاء الهلال الخصيب أو بلاد الشام أو بلاد النيل وسواهم كما مر معنا في التمهيد السابق(١٤).

كما أننا لا نستطيع أن نغفل أن بعض الفتوحات الإسلامية أخذت طابع الهجرات، وأن الجنودالعرب الذين يتكون منهم الجيش الإسلامي كانوا يُعرفون باسم (المهاجرة) أو (المهاجرين)(١٥). ويحق للمرء أن يتساءل عن نوع العلاقة بين الإسلام بوصفه دينًا وبين الهجرة. وأحسب أن العرب لم يكن بمقدورهم أن يقوموا بتلك الهجرات الواسعة الكبيرة لو لم يظهر الإسلام. ولكن الإسلام في الوقت نفسه هو الذي هيأ العرب وخاصة أولئك الذين يعيشون أوضاعًا متردية، نتيجة لظروف سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، هيأ لهم الإسلام الفرصة للفوز بإحدى الحسنيين وذلك عن طريق الهجرة والجهاد في سبيل الله ومن ثم تحسين أوضاعهم المعيشية(١٦).

إن دراسة القبائل وأنسابها وتفرعاتها وتحالفاتها وأماكن وجودها وهجراتها، ومساهماتها في مختلف الميادين الحضارية هي علم عربي صرف نشأ مع اهتمام العرب بالأنساب قبل الإسلام وبعده، وتطور مع غيره من العلوم العربية

الإسلامية، لعلاقته الوشيجة بعلوم الدين. والتي شهدت اهتمامًا كبيرًا.

ولقد ظلت علاقة الهجرات العربية مع علم الأنساب ذات مدلول اجتماعي واقتصادي عند التعرض لأي أمر من أمور الفتوح الإسلامية. وعند الحديث عن هجرة بني حنيفة خارج مواطنهم القديمة إلى مناطق أخرى من داخل جزيرة العرب أو خارجها. لا بد من استعراض تاريخ بني حنيفة السياسي وشيء من تاريخهم الاقتصادي والاجتماعي في العصر الإسلامي.

٢ ـ ١ بنو حنيفة في صدر الإسلام:

يبدو أن تاريخ بني حنيفة قبل الإسلام بقي ملازمًا لتاريخ القبيلة الأم (ربيعة)، ليس فقط في مناطق اليمامة. ولكن في مناطق وجود بطون ربيعة قبل هجرتهم من تهامة إلى اليمامة ونجد. ولقد توطدت علاقة بني حنيفة بسائر بطون ربيعة منذ (معركة قضة)(١٧). حيث دعم بنو حنيفة حلفاءهم في تلك المعركة وشكلوا الظهير العسكري والاقتصادي الذي كان له دور كبير في نتيجة الحرب. واستمرت بنو حنيفة تلتجيء عند الحاجة إلى إحدى بطون ربيعة وتتسمى باسمها وخاصة عندما اضطرت إلى اخفاء حقيقة هويتها القبلية في العصر الراشدي والعصر الأموي. أما بخصوص معركة (يوم قضة) فقد كان من نتائجها أن وقفت قبيلة تغلب موقفًا عدائيًا من بني حنيفة. واستمر هذا الموقف من بني حنيفة إلى وقت متأخر من تاريخ صدر الإسلام(١٨).

ومع هذا فإننا نرى أن قبيلة بني حنيفة كانت في تاريخها الطويل قبل الإسلام، تبتعد عن النزاعات القبلية، التي اعتادت القبائل العربية في جزيرة العرب، وخاصة البدو منهم، في خوض بحارها. لدينا إشارات واضحة من تمنع بني حنيفة من الانخراط في المعارك القبلية؛ حتى تلك التي يكون أحد أطرافها من بني عمومتهم من بطون بكر بن وائل أو ربيعة. ولعل السبب يعود

إلى اكتمال توطن بني حنيفة في المناطق الزراعية والتعدينية، وابتعادها عن حالة البداوة. ولعلنا لا نتجاوز الواقع إذا قلنا إن بني حنيفة ما عرفت الحياة البدوية منذ عقود عديدة قبل ظهور الإسلام(١٩).

كان بنو حنيفة يشكلون أكثرية سكان اليمامة حتى قيل إنهم يعدلون في عددهم بكر بن وائل وبطونها الأخرى مجتمعة(٢٠). وقد أكملوا سيطرتهم الاقتصادية والسياسية على أغلب مناطق اليمامة. واستطاعوا إقامة علاقات سياسية واقتصادية مع المناطق المجاورة لهم كاليمن والحجاز والعراق والشام وفارس.

لقد كانت القوة الاقتصادية لبني حنيفة والمصادر الغنية لليمامة من السهولة ترجمتها إلى قوة سياسية وعسكرية. وقد شكلت قوة ضاربة في مقاومة الإسلام. ومع أن عددًا قليلاً من بني حنيفة اعتنق الإسلام في أيامه الأولى، فإن أغلب أفراد القبيلة منحت قيادتها لرجل من القبيلة هو مسيلمة بن حبيب الحنفي. الذي أعلن أنه نبي وقائد سياسي لبني حنيفة واليمامة. مما حدا بأبي بكر - الخليفة الأول - إلى إرسال حملات عسكرية ضد اليمامة. ومع أن المحاربين في معسكر مسيلمة أبدوا شجاعة وحماسة كبيرتين للدفاع عن عشائرهم وقراهم، إلا أن الجيش الإسلامي بقيادة خالد بن الوليد استطاع أخيرًا أن يلحق ببني حنيفة هزيمة مروعة. ولقد شهدت بساتين اليمامة مجزرة فظيعة، وهي البساتين التي عرفت فيها بعد باسم (حديقة الموت).

هل حدث لقبيلة بني حنيفة نتيجة لتلك المعارك اجتثاث تام! هذا التساؤل لا يبدو غريبًا في ضوء بعض التقارير التي ورد فيها أن الخليفة أبا بكر قد أرسل رسالة إلى خالد بن الوليد يأمره فيها باجتثاث بني حنيفة وألا يبقي رجلاً قد بلغ الحلم. وكذلك الكتب التي أرسلها بعض وجهاء المدينة وفيها تطلب من خالد

قتل رجال بني حنيفة كافة(٢١).

لا شك أن القتل قد استفحل في بني حنيفـة ، ولا شك أن قرى بكاملهـا قد واجهت تفريغًا كـاملاً من سكانها. إما بـالقتل أو بالأسر أو بترحيلهم . ونجد مصداق ذلك في بعض العبارات التي تتردد دائما عند الحديث عن بعض القرى التي شملتهـا الغارات العسكـريـة التي أعقبت معـركة عقـربـاءالشهيرة . تلك العبـارات مثل (أبادهم خـالـد بن الوليـد أيـام الردة) أو (خلى من أهلهـا لأنهم قتلوا) . وربما أن هـذا الإجراء الـذي اتخذه خالـد تجاه بعض العشـائر أو القرى الحنفية جاء ترجمة حرفية للأمر الذي أصدره الخليفة أبو بكر بشأن المرتدين حيث ورد فيه(. . . لا نرضى منهم إلا الخطة المخزية أو الحرب المجلية)(٢٢).

كذلك لا نشك في أن عـددًا لا بأس بـه من رجـال بني حنيفـة قـد وقعـوا في الأسر، وبالتالي أصبحوا أرقـاء ، ومن ثم انتقلوا مع أسيادهم إلى الحجاز . وحتى عندما قرر الخليفة عمر بن الخطاب فداء الرقيق العربي . فقد خصص مبلغًا من المال لفـداء الأرقـاء من بني حنيفـة يقـل عن نظيره في القبـائل الأخـرى . وهـذا الإجراء وإن كـان يهدف إلى تحرير من وقع في الأسر من العرب ، مع مـراعاة بني حنيفة لظروفهم الاقتصادية الصعبة . إلا أنه اعتبر وصمة عار تضاف إلى ما لحق بالقبيلة من وصمات نتيجة ارتدادهم عن الإسلام ، وهزيمتهم في الحرب ، وسبي عدد كبير من رجالهم ونسائهم وأطفالهم . ثم لحقت بهم وصمة عار أخرى وهي منعهم من المشـاركـة في شرف الفتـوحـات الإسـلامية . وحتى بعـد أن سُمح للمـرتدين بـالانضمام إلى الجيـوش الإسلاميـة ، فإن المصـادر الإسلاميـة تعطي القليل من أسماء بني حنيفة الذين شاركوا في الفتوحات .

إن استعراض وضع القبيلة السابق ليعطي الإجابة المحتملة لبعض التساؤلات عن وضع بني حنيفة . والتي منها الاعتقاد السـائد بأن بني حنيفة لم يرد لهم ذكر

في الفتوحات الإسلامية أو الهجرة إلى الأمصار، للاعتقاد بأنهم اجتنبوا تمامًا. والباحث يشير في هذا الصدد إلى بعض الاحتمالات المرتبطة بهذه الوضعية. أولها: أن قبيلة بني حنيفة لم تشارك في الفتوحات الإسلامية لأنها أصبحت منهارة ومتفككة، وليس لديها من المقومات المادية ما يعينها على الاشتراك في المعارك. وثانيهما: أن بني حنيفة اشتركوا فعلا في المعارك، خاصة ما كان منها في العراق، ولكن تحت أسماء مختلفة تمت إليها بصلة النسب أو الجوار أو الحلف. أي أن قبيلة بني حنيفة ارتأت في ذلك الوقت استعمال أسماء عشائر لصيقة بها في النسب، وتحاشت استعمال اسم حنيفة، التي ينتمي إليها مسيلمة، لما يحمل هذا الاسم من وصمات العار التي ارتبط بها نتيجة الردة. كلا الاحتمالين وارد وليس في المصادر العربية إشارات صريحة تجعلنا نأخذ بأحدهما دون الآخر، مع أن الاحتمال الثاني هو ما نميل إليه، لسبب بسيط وهو صعوبة أن يمتنع أبناء قبيلة بني حنيفة عن الجهاد. كما أن استعمال أنساب عشائر أخرى ليس بالأمر الصعب أو الممنوع. وهكذا نجدنا في ظل غياب مصدر صريح ميالين باعتماد الاحتمال الثاني.

٢ ـ ٢ بنو حنيفة في العصر الأموي:

إن دراسة وضع قبيلة بني حنيفة في العصر الأموي هي من قبيل دراسة لتاريخ اليمامة السياسي في ذلك العصر؛ لأن ارتباط القبيلة بالأرض هو من القوة بحيث يعبر كل منهما عن الآخر. والتاريخ السياسي للقبيلة (بنو حنيفة) أو الأرض (اليمامة) في ذلك العصر يشكل المفتاح لبعض العقد التاريخية، والتي قد تصادفنا عند سبر غور القبيلة، ووضعها السياسي والاجتماعي والاقتصادي، ولمعرفة هجراتها والعوامل والأسباب التي دفعت بها خارج مناطقها الأصلية.

لقد أصبحت اليمامة ـ مثل غيرها من مناطق الجزيرة العربية ـ بعد انتقال

العاصمة الإسلامية إلى دمشق أقل أهمية في أولويات الإدارة الجديدة، بل أصبحت اليمامة تُدار إما من قبل والي المدينة أو والي البصرة، وذلك راجع ولا شك لقوة الوالي الموجود على رأس الإدارة ومكانته في كل من المدينة أو البصرة(٢٣).

وبسبب السياسة الأموية المتبعة في إدارة أقاليم الدولة فإن الولاة والعمال عادة ما يستبدلون بصورة متكررة، بسبب التناقضات السياسية والإدارية القائمة بين الحكومة المركزية والمعارضة في تلك الأقاليم، مما يجعل الخليفة يستبدل عماله وولاته إما نتيجة تقصير أو لمجرد إرضاء المعارضة. وقد يُستبدلون نتيجة إخفاقهم في تحقيق رغبات شخصية للخليفة، مما يسبب غضب السكان وقد يدفعهم إلى الثورة أو العصيان(٢٤).

وخلال الفتنة الثانية (٦٢ ـ ٧١هـ) أصبح تاريخ اليمامة وسكانها تاريخًا للخوارج. فقد استطاع نجدة بن عامر الحنفي ـ أحد قادة الخوارج ومؤسس فرقة النجدات ـ أن يزيح بسهولة المسؤولين الأمويين في اليمامة، ويبدو أن نجدة لم يلق صعوبة تذكر، وخاصة أن أحد قادة الخوارج وهو طالوت (من عشيرة بكر ابن وائل) وأبا فديك وعطية بن الأسود اليشكري قد مهدوا الطريق لنجدة، وذلك بإعلان الثورة في اليمامة، وانضمام كثير من اليماميين إليهم.

لقد استطاع نجدة وخليفته أبو فديك أن يعلنا قيام حكومة مستقلة في اليمامة ثم في البحرين، دامت عشر سنوات. ولقد تلقب نجدة بلقب أمير المؤمنين. وهو تحد سافر للخليفة الأموي في دمشق. وخلال السنوات الخمس من حكم نجدة، استطاع أن يوسع نفوذه وسلطانه، ونقل مقر إقامته الرسمي من اليمامة إلى البحرين. وهو أمر لم يغفره له بنو حنيفة فيما بعد. لقد قاد زعماء تلك الحكومة الشعور المذهبي القوي، ووقفوا بصرامة ضد الحكومة المركزية في

دمشق. وتحدوا القوى السياسية الأخرى الموجودة بالقرب منهم مثل الزبيريين. إن عملهم هذا يعيد للاذهان ما قام به أسلافهم من تحد سافر ضد الحكومة الإسلامية في المدينة. فهل سيلقى الخلف ما لقي السلف؟

لقد استطاع عبد الملك بن مروان ـ المؤسس الثاني للدولة الأموية ـ أن يحكم قبضته على سائر أجزاء الجزيرة العربية، ومنها بطبيعة الحال اليمامة. أما الخوارج فقد تعرضوا للقتل أو التشريد(٢٥). وكان منهم عدد كبير من بني حنيفة. وهذا في حد ذاته وصمة عار أخرى لحقت بهم تضاف إلى الوصمات السابقة، التي لصقت بهم نتيجة للردة، وما ترتب عليها من نتائج.

من خلال الاستعراض السابق للتاريخ السياسي للأرض والقبيلة، يتضح أن هنالك عوامل سياسية، واقتصادية وربما مذهبية أدت إلى أن تسوء المنطقة، وتكثر فيها الفتن والاضطرابات، مما حدا بعدد من أبناء القبيلة (بنو حنيفة) للهجرة إلى الأمصار الإسلامية. وهو ما سوف نتناوله في الصفحات التالية.

٣ ـ ١ أسباب هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية:

إن أسباب الهجرة وتنقل الأفراد أو الأمم هي نفسها في كل زمان وفي كل مكان لم تتغير كثيراً منذ أن عرف الإنسان القدرة على التنقل وارتياد مواطن جديدة. وقد تعرضت قبيلة بني حنيفة إلى عوامل كثيرة منها السياسية ومنها الاقتصادية ومنها الاجتماعية في أزمنة مختلفة. أدت تلك العوامل إلى نزوح عدد من أفراد القبيلة من مواطنها في اليمامة إلى خارج الجزيرة العربية. وكان ذلك النزوح يختلف في حجمه وأسبابه وتوقيته من عصر إلى آخر.

وإن المرء ليأسف كون المصادر العربية لم تتوسع في متابعة هجرات بني حنيفة. بل إن السكوت ليلف أغلبها. ولكن جمع شذرات من الأخبار المتفرقة في كتب التاريخ والأدب واللغة وكتب المذاهب والفرق يساعد على إعادة رسم

صورة ــ ولو باهتة ـ لحالة هجرة بني حنيفة من مواطنها الأولى في اليمامة إلى ما جاورها من مناطق الفتوح الإسلامية . ولقد تراءى للباحث أن من جملة الأسباب التي جعلت بني حنيفة يغادرون مواطنهم ، منها ما يعود إلى عصر الخلفاء الراشدين ومنها ما هو وليد العصر الأموي . وأيًا كان العصر الذي تولّد فيه السبب ، فإن الأسباب التي حدثت في العصر الراشدي ، ربما أدت بهم للهجرة في ذلك العصر أو العصر الذي يليه . وربما استمر السبب في حدوثه وفي ديناميكيته مما يجعل نتائجه تستمر لمدة طويلة . وفيما يلي موجز لتلك الأسباب :

(١) الرغبة في الجهاد :

لقد حض الإسلام على نشر دعوته والجهاد في سبيله ، وقد اقتضى ذلك المشاركة في جيوش الفتح ، وبالتالي الهجرة إلى البلدان التي تم فتحها . وعلى الرغم من أن المصادر لم تمدنا بمعلومات عن مشاركة قبيلة بني حنيفة في جيوش الفتح أو الهجرة إلى الأمصار الإسلامية الأخرى ، إلا أنه يمكن التعرف على بعض شخصيات تلك القبيلة ممن أسهموا في الجهاد أو الهجرة ، فقد كان ثمامة بن أثال الحنفي ممن التحق بالجيوش الإسلامية في وقت مبكر ، فقد غادر موطنه اليمامة قبيل نشوب معركة عقرباء والتحق بالجيش الإسلامي في البحرين . والشئ نفسه يقال عن عدد من أبناء اليمامة الذين التحقوا بالجيوش الإسلامية الظافرة في العراق ، وشاركوا في الفتح ، وكان منهم من قاد الجيوش ، ومنهم من تقلد مناصب إدارية أو دينية عليا أمثال أبي مريم الحنفي وخليد بن عبد الله . وكانت الرغبة في التكفير عن خطيئة الردة ربما قادت بعض بني حنيفة إلى طلب الشهادة عبر الاشتراك في الفتوحات . ولهذا لا نستبعد انضمام عدد من بني حنيفة للجيش الإسلامي المعسكر في العراق . وخاصة في الفترة التي اشتدت فيها الحاجة إلى عدد من المجندين . وكان شباب القبائل المرتدة هم المدد الذي

أرسله عمر بن الخطاب إلى الجبهات الإسلامية(٢٦).

(٢) النتائج السياسية والعسكرية لحروب الردة :

أملت الظروف التي أعقبت حرب الردة على المنهزمين من شباب بني حنيفة أن يحاولوا الالتحاق بالجيوش التي توجهت إلى فتح العراق أو الشام. وخاصة أن الإدارة الإسلامية في المدينة رأت أن بقاء المنهزمين في بلدانهم قد يؤدي بالبعض إلى إعلان العصيان ثانية فسهلت لهم الالتحاق بجيوش الفتح. والواقع أن حرمان الشباب والرجال المرتدين من شرف الاشتراك في الفتوحات الإسلامية كان بمثابة عقوبة لهم، والانتقاص من كرامتهم وشهامتهم في مجتمع يرى أن الجندية والقتال علامة من علامات الرجولة والشهامة والفتوة. زد على ذلك أن مداخيل الأفراد من بني حنيفة قد تدهورت كثيرًا نتيجة للدمار الواسع الذي خلفته الحرب. كما أن مصادرة عدد من الممتلكات الزراعية والسكنية ساعد بدوره على تأزم الواقع المعيشي لبني حنيفة. فاضطر عدد منهم للبحث عن مصادر معيشة جديدة وكانت الهجرة للجهاد أو العمل في المناطق المفتوحة إحدى الحلول الممكنة(٢٧).

(٣) العامل الاقتصادي :

علاوة على ما ورد في إشارتنا في السطور السابقة إلى شيء عن أهمية العامل الاقتصادي في جذب عدد من رجال بني حنيفة إلى خارج مواطنهم. نقول إن أحدًا لا ينكر أن ذلك الجذب الاقتصادي المتمثل في المستويات المعيشية الجيدة في مناطق الفتح كانت وراء انطلاق المزيد من رجالات بني حنيفة في العصر الراشدي والعصر الأموي إلى العراق وغيره.

قال خالد بن الوليد بعد (موقعة السلاسل) مخاطبًا جموع العرب في جيشه : «. . . ألا ترون إلى الطعام كرفع التراب وبالله لو لم يلزمنا الجهاد في الله والدعاء

إلى الله عز وجل، ولم يكن إلا المعاش، لكان الداعي أن نقارع على هذا الريف حتى نكون أولى به، ونولي الجوع والإقلال من تولاه ممن اثاقل عما أنتم عليه»(٢٨).

وفي حديث للخليفة عمر أمام الجيوش المغادرة إلى الشام: «. . . استقبلوا جهاد قوم قد حووا فنون العيش لعل الله يورثكم بقسطكم من ذلك فتعيشوا مع من عاش من الناس»(٢٩). ولم يكن هذا القول بعيدًا عن ملاحظة أبي بكر. فما إن فرغ من أهل الردة حتى كتب إلى أهل: «مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد، ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم. فسارع الناس إليه بين محتسب وطامع، فأتوا المدينة من كل أوب»(٣٠).

(٤) الفتن الداخلية في اليمامة:

أقنعت كثرة الفتن السياسية والقبلية التي حدثت في اليمامة عددًا من بني حنيفة بضرورة مغادرة أوطانهم إلى حيث يجدون الأمن. تشير التقارير إلى أن حركة نجدة بن عامر الحنفي، وحروب الخوارج بقيادة أبي حمزة الخارجي، واضطرار عدد من بني حنيفة على الالتحاق بهم. أدت إلى فقد عدد كبير من الناس لحياتهم. ففي معركة (قُديد) التي حدثت بين الخوارج وأهل المدينة. قُتل حوالى ٢٠٠٠ رجل من أهل المدينة. فكم يا ترى قُتل من أهل اليمامة. ونحن نعتقد أن أنفسًا كثيرة قد أُزهقت في الفتن التي امتدت لسنوات في عصر الدولة الأموية(٣١).

(٥) ضعف الأمن الداخلي في اليمامة:

أدى ضعف حالة الأمن، وعدم شعور المواطن بالطمأنينة على نفسه وماله، إلى مغادرة البلاد. يروي الأصفهاني أن مالك بن الريب التميمي ومن انضموا

إليه، كانوا يقطعون الطريق الممتد ما بين الفلج والقصيم بنجد(٣٢). وكان أبو النشناش التميمي يرأس عصابة كبيرة تعترض القوافل التجارية على طريق الشام ـ الحجاز(٣٣). وعصابة أخرى لا تقل عن سابقتها يرأسها السمهري بن بشر العكلي تخصصت في مهاجمة طريق مكة ـ الكوفة المار بالمدينة المنورة، وتهديد القوافل التجارية التي تسلك هذا الطريق(٣٤).

ويحدثنا الجاحظ في كتابه (المحاسن والاضداد) عن شخصية مثيرة دأبت على إثارة الفتن والإخلال بالأمن. ويقول إن جحدر بن مالك العكلي كان ينزل باليمامة ويغير على نواحيها وأسواقها وطرقاتها(٣٥). وقد بلغ من درجة استخفافه بالأمن أن كان يغير على أسواق الإبل ويختطف الناقة من يد صاحبها الذي يعرضها للبيع في السوق(٣٦). مما حدا بوالي اليمامة آنذاك إبراهيم بن العربي أن يزج به في السجن(٣٧). ولا يحتاج المرء إلى كبير جهد لتصديق تلك التقارير. فالأمن لا شك كان شبه منعدم في اليمامة في العصر الأموي، ما عدا فترات قصيرة هي الاستثناء. يروي الطبري أن أعمال السلب والنهب، وخاصة نهب المتاجر والعبيد وإشاعة الفوضى ازداد بشكل ملحوظ(٣٨). وهي ملاحظة تصدر من مؤرخ رزين، تجعل الباحث يعتقد بصحة تلك التقارير.

(٦) الاضطرابات السياسية :

لم يكن الوضع السياسي في اليمامة مستقرًا. ولم يرض اليماميون بالسياسة التي اتبعت لإدارة مناطقهم. ولا هم سعيدون بتنفيذ الأوامر التي تصدر إليهم تباعًا من دمشق أو المدينة أو البصرة. حدث أن تعرضت اليمامة لاضطرابات داخلية عنيفة أعقبت مقتل الخليفة الأموي الوليد بن يزيد. ففي سنة ١٢٦هـ لم يعترف بنو حنيفة بالوالي المعين لديهم وهو علي بن المهاجر بن عبد الله الكلابي؛ فاضطرب حبل الأمن. وكثرت الغارات والسلب والنهب بين القبائل

والمستوطنين على حد سواء واستمر ذلك الخلل الأمني حتى مقدم المثنى بن يزيد ابن عمر بن هبيرة واليًا على اليمامة من قبل أبيه(٣٩). الذي لم يستطع عمل شيء لوقف التدهور الأمني والسياسي الذي اجتاح المنطقة كلها.

والاضطرابات السياسية ليست شيئًا جديدًا على اليمامة فنحن نعرف أن بني حنيفة كانوا تواقين للاستقلال عن السلطة المركزية. ولذا نجدهم ينضمون بشكل تلقائي وعاطفي مع كل ثورة أو بارقة تمرد ضد السلطة المركزية. حتى اعتاد بعض المراقبين على اطلاق اسم (الخوارج) عليهم. مع أن عددًا قليلاً من بني حنيفة اعتنق المذهب الخارجي. فقد كان أتباع نجدة بن عامر الحنفي ثلاثة آلاف فقط من أهالي اليمامة(٤٠). ولكن حتى هذا الرقم لا يدل حقيقة على أن بني حنيفة اعتنقوا مذهب الخوارج. ذلك أن عددًا كبيرًا منهم ــ كما تقول المصادر التاريخية ـ اعتنق المذهب الخارجي، وشارك قادته في الحروب، لا عن إيمان مطلق بالمذهب أو موافقة لسياسة قادته، بل خوفًا من الإرهاب الذي اتبعه قادة الخوارج ضد من لم يلتحق بهم. فتعصب الخوارج الوحشي زرع الذعر في قلوب الأهلين، مما جعل من يؤرخ للخوارج وقادتهم يظن أنهم كانوا يحظون بعطف السكان في اليمامة. والحقيقة غير هذا(٤١).

(٧) الإرهاب المزمن :

إن ارهابًا كاد أن يكون مزمنًا ومستمرًا صبغ الحياة الاجتماعية في اليمامة فقتل عدد من الناس في الاضطرابات المتلاحقة، والحروب الأهلية، وكثرة الفتن الداخلية. ومصادرة الأملاك، وتدمير سبل الاقتصاد المحلي، والضغط على السكان لأسباب سياسية أو مذهبية أوقع الناس فريسة سهلة للخوف والفقر. وأصبحوا في أوقات كثيرة بدون مأوى. لقد كان عدم الاستقرار المستمر سببًا لعدم تزايد السكان الطبيعي أو على الأقل ألغى الزيادة الطبيعية نتيجة للهجرة

المستمرة إلى خارج اليمامة(٤٢).

(٨) انتشار الأمراض والأوبئة :

انتشرت الأمراض والأوبئة والطواعين مثل الطاعون الذي اجتاح كامل منطقة الشرق الأوسط في القرن الثاني الهجري . وكـذلك الأوبئة مثل داء اليرقان اللولبي النزيفي ، الذي انتشر بصورة واسعـة في العراق الأسفل ، ولا يستبعد أن وصلت آثاره إلى المنـاطق المرتبطـة بالعراق إداريًـا وديمغرافيًـا مثل اليمامة والبحـرين(٤٣) وكذلك الطاعـون الذي حدث سنة ٦٩هـ وأدى إلى مـوت عدد كبير من سكان جنوب العراق وأجزاء أخـرى في جزيرة العرب(٤٤) . والمعروف بطاعون (الجاف) مما جعل سكان اليمامة يفكرون في مغادرة مدنهم وقراهم .

(٩) أثر السيول في اضطراب التجارة وتدمير الزراعة :

ليست لدينا أخبار موثقة عن أثر السيول في تدمير محاصيل الزراعة في اليمامة ، أو خراب السدود الترابية أو انهيار آبار الري وقنـواته . ولكن بالمقابل لدينا أخبار من هذا القبيل عما تعرضت له الحجاز سنة ٨٠هـ(٤٥) . مما يمكن معه القول من باب القياس أن أجـزاء من جزيرة العرب لا بد أن تكون تعـرضت لمثل ما تعرض له الحجاز . وكما نستطيع أن نقيس أثر الفيضانـات على المحاصيل الزراعية بأثر الجفاف الذي يـدمر أيضا المزارع . فإننا نستطيع أن نقـول إن السيول التي تجتاح منطقة اليمامـة أو موجات الجفـاف التي تتعرض لها المنطقـة شكلت عوامل دفع قوية ، اضطرت عددًا من الأهلين لمغادرة بلدانهم إلى مناطق أخرى .

(١٠) الإصلاحات الزراعية خارج اليمامة وهجرة المزارعين :

اهتمت الدولـة الأمويـة بالزراعـة واستصلاح الأراضي البـور . واهتمت بطرق الـري في العـراق وسـوريـا . ولكـن مثل هـذا الاهتمام لم يحدث لليمامـة . بل إن

تقنيات جديـدة أدخلت على الزراعة في العراق وهو إجراء لم يشمل ولايـة الدولة الأموية كـافة . وأمام هذه الإجـراءات التشجيعية وجد بعض بني حنيفـة ـ وهو المزارعون المهرة ـ الفرصة سانحة لترك مزارعهم ، والالتحـاق بالمزارع المستصلحة في العراق . والعمل في ظل تقنيـات حديثة ، وتشجيع مـادي مجزي . يروي ابن خرد ذابـه أن مسلمة بن عبـد الملك قـام بإصلاحـات زراعية ومـائيـة كبيرة في العراق . وكـذلك اعتمد الحجـاج مبلغ مليون درهم كقـرض بدون فـوائد يقدم للمزارعين في العراق ، لتخفيف الأزمنة الاقتصادية التي كان يمر بها البلد(٤٦) .

والمعتقد أن إجراءات مثل هذه تؤدي إلى نزوح عدد من المزارعين والعمال المهرة من القرى الزراعية في اليمامة إلى خارج المنطقة . وأن التدهور الذي أصاب القرى الزراعيـة في اليمامة وهبوط الأجـور الذي صاحب تـدهور الزراعـة هما وراء نزوح عدد من أصحاب المزارع وعمالها ، إلى حيث يجدون الحوافز المادية المجزية(٤٧) .

تشير الأخبار العائدة للعصر الأموي ـ على قلتها ـ إن التغييرات التي أدخلتها الحكومـة الأمويـة على الأراضي الزراعيـة كانت بطيئـة نسبيًا . فقـد أبقى الخلفاء الأمويـون الأراضي المفتوحة في أيدي العمال المهـرة . ولقد منح الخلفاء الأمـويون القطائع لمحسـوبيهم . كما أن الأمراء الأمـويين حصلوا على قطـائع كبيرة . وجزء من تلك القطائع كان صوافي كبيرة أجّرهـا أصحابها الجدد بكاملها أو جزء كبير منها إلى الفلاحين الفقراء بمبالغ كبيرة .

هذا الإجراء تطلب وجود أيدٍ عربيـة مدربـة تجيد فن الفلاحة والزراعة . ولكن من أين تلك الأيـدي؟ إذا كان الفلاحـون من بني حنيفة قـد هجروا أراضيهم ، لدرجـة أن الخليفة الأموي الأول اضطر لإرسـال ٤٠٠٠ عامل للعمل في أراضي الصوافي العائدة له في اليمامة ؛(٤٨) لأنه لم يجد العدد الكـافي من العمال من أبناء المنطقة .

وحتى عندما شرع الخليفة الأُموي يزيد الثاني في تبني برامج لزيادة دخل بيت المال. اعتمد مصادرة المنح والاقطاعات السابقة من أراضي الصوافي وقطائع الدولة من أصحابها ووضعها تحت إشراف بيت مال الدولة. لقد أثارت إجراءاته تلك احتجاجات عنيفة، واضطر للتخلي عن برامجه، بل وزاد على ذلك أن منح جزءًا من الصوافي المملوكة للدولة كقطائع جديدة لكبار موظفي الدولة(٤٩). وهو ما أدى إلى انتقال أراضٍ زراعية إلى ملاك جدد. وهذا بدوره استلزم أيضا وجود عمّال مهرة للعمل في الاقطاعات الجديدة.

(١١) ارتفاع الأسعار وقسوة بعض عمال الزكاة :

لعل قسوة بعض جباة الزكوات الذي صاحب تحصيل الزكاة والخراج وراء المظلمة التي رفعها الشاعر الراعي النميري أمام الخليفة عبد الملك بن مروان. وهي تمثل جزء من الواقع الذي كان يعانيه المزارعون والأهالي وملاك الماشية في اليمامة، والذي كان عليهم أن يدفعوا للإدارة المركزية الأموية ما يجب عليهم من زكوات وخلافه. هذا الأمر أجبر بعض الفلاحين الفقراء إلى ترك مزارعهم، والهجرة إلى العراق للعمل في مزارع الصوافي و إقطاعات الدولة(٥٠). وقد حدث مثل هذا في العراق حيث أدت سياسة ارتفاع الضرائب وتنوعها المضروبة على المزارعين، إلى إجبار عدد من العمال وملاّك المزارع على النزوح الكبير من القرى إلى المدن العراقية للبحث عن فرص للعمل الرخيص، وهذا بدوره أدى إلى نقص الخراج. فما كان من حكومة العراق إلا إعادة هؤلاء العمال والمزارعين إلى قراهم الزراعية بالقوة وتحت إجراءات بالغة القسوة. ولكن مثل هذه الإجراءات لم تطبق بحق المهاجرين من اليمامة إلى المدن العراقية أو سواها لصعوبة تنفيذ مثل هذا الأمر.

لقد رافق ارتفاع الضرائب ارتفاع في أسعار بعض المواد التموينية. مثل القمح

والتمر. والأسعار عادة تتأثر عكسيًا بحالة الأمن السائدة. لقد كان سعر صاع الحنطة في الشام أيام خلافة يزيد بن معاوية درهمًا بينما هو في جزيرة العرب أغلى وأندر(٥١) وقد يكون ارتفاع الأسعار في أوقات الحروب والفتن أكثر من غيرها. وقد كانت الفتن والاضطرابات الأمنية هي السائدة في اليمامة خلال فترة الخلافة الأموية. وعموما فإن أسعار المواد التموينية لم تشهد انخفاضًا ملحوظًا إلا في زمن خلافة عمر بن عبد العزيز القصيرة(٥٢). أما ما عداها فإن الأسعار توصف بأنها مرتفعة.

١٢ ـ طلب العلم :

تشير القائمة التي أوردها ابن سعد في طبقاته إلى وجود عدد من الصحابة من بني حنيفة، الذين استقروا في اليمامة، وأشاعوا العلم فيها من هؤلاء: مجاعة بن مرارة، وثمامة بن أثال، وعلي بن شيبان، وطلق بن علي. والمعروف أن وجود هؤلاء النفر كان بمثابة انطلاقة أساسية للحركة العلمية في اليمامة(٥٣). فانتشر العلم الديني وخاصة علم الحديث والفقه. ولكن هنالك بعض الصحابة من بني حنيفة لم يكتف بالعلم الموجود في بلاده فهاجر إلى البصرة لطلب العلم ومن هؤلاء: حنظلة بن جذيم بن حنيفة، وأحمر بن جزي. لقد كان أولئك النفر أول من اتخذ من العلم سببًا للهجرة. وتابعهم مجموعة من العلماء وطلاب العلم، الذين وجدوا طريقهم إلى البصرة والكوفة وخراسان وغيرها من مراكز العلم والمعرفة، زمن الدولة الراشدية والدولة الأموية.

والمعروف أن حلقات العلم في اليمامة لم تعد في العصر الأموي تفي بتطلعات الحنفيين وغيرهم من سكان اليمامة. فصاروا يشدون الرحال إلى البصرة والكوفة ومن هؤلاء العلماء: شقيق بن ثور السدوسي، وثمامة بن أثال القشيري، وحكيم بن معاوية القشيري، ويزيد بن عبد الرحمن بن أذينة السحيمي، وعبد

الرحمن بن علي بن شيبان الحنفي، وسلمان بن ربيعة الباهلي، وهو أول قاض من اليمامة تولى مثل هذا المنصب بالكوفة. وكذلك محارب بن دثار السدوسي الذي اشتغل بالقضاء في كل من الكوفة واليمن.

لقد خلف أولئك النفر علماء من بني حنيفة استقر بعضهم في الكوفة أو البصرة أو بعض مدن خراسان. وكانوا زمن الدولة الأموية طلاب علم، ثم أصبحوا زمن الدولة العباسية من العلماء المتخصصين ببعض فروع العلم الديني. وهكذا يتضح أن الهجرة من أجل العلم أو الاشتغال بالعلم وجدت مناخًا ملائمًا في العصر الأموي. واستقطبت المراكز العلمية في الأمصار الإسلامية عددًا من بني حنيفة(٥٤).

من خلال العرض السابق فإن الباحث يجد صعوبة في الأخذ بمقولة أن قبيلة بني حنيفة لم يهاجر منها إلا القليل، وأنها بقيت في مناطقها السابقة، واندمجت مع السكان الآخرين. لقد اتضح أن هناك عوامل كثيرة جعلت من المستحيل على بني حنيفة وخاصة المدنيين منهم البقاء في ظل الظروف الصعبة. وكانت الهجرة هي الحل الممكن. ولكن لماذا لم تورد المصادر العربية إلا القليل عن هجرة بني حنيفة؟ في الصفحات التالية محاولة للإجابة على مثل هذا التساؤل.

٣ ـ ٢ تحليل تاريخي لهجرات بني حنيفة :

ثمة صعوبة تبرز عند محاولة تتبع هجرات بني حنيفة في الفترة الأموية، وحتى في الفترة السابقة. ولعل في حديثنا السابق إشارات تفسر هذا الأمر. وهنا يستحسن الشروع في تحليل تاريخي للعوامل التي تكمن وراء صعوبة معرفة مهاجر بني حنيفة. من تلك العوامل ما يأتي:

أولاً : أن بني حنيفة كانت قبيلة مستقرة درجت في سلم المدنية منذ زمن بعيد. وبَعُدَ بها الوقت عن البداوة. واستقرت في المدن، وفي القرى والأرياف.

وامتهنت هذه القبيلة التجارة والزراعة والتعدين والصناعة. وضعف لديها ما يشد أفراد القبائل البدوية إلى بعضهم بعضًا من أمشاج قوية. ولذا عندما هاجرت في الإسلام إلى الأمصار الإسلامية لم تشكل وحدة قبلية معروفة، مثل غيرها كتميم وأسد وعبد القيس والأزد. ويرى باحث معاصر أن الاندماج في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمدن يؤدي إلى مثل ما حدث لبني حنيفة. فاختلطت مع بعض القبائل المهاجرة، وخاصة تلك التي يربطها بها نسب أو جوار في منازلها قبل الهجرة(٥٥).

وقد لاحظ أيضا هذا الأمر شارل بللا عندما قال «إن العصر الأموي اتسم بأنه عصر المؤامرات الصغرى والعداوات الشخصية والخصومات بين الرجال والقبائل. ومع هذا فإن الفرد أخذ يشعر بفرديته وأخذ يتحلل من قيود القبيلة، ليندمج في طبقة اجتماعية أوسع وأكثر مرونة. وقد يأخذه الأمر السياسي أو الاقتصادي أو حتى الديني، لينتقل من طبقة اجتماعية إلى أخرى»(٥٦). فإن صح هذا التحليل المنقول كما كتبه صاحبه، فقد يفسر الصعوبة التي تواجه أحدنا عند محاولة تتبع هجرات بني حنيفة. ويبدو أن تحليل شارل بللا ينطبق أكثر ما ينطبق على القبائل ذات الخلفية المدنية. وكما هو معروف فإن قبيلة بني حنيفة تتصف بأنها ذات جذور مدنية، بعيدة عن الحياة البدوية. وهو أمر جعلهم يتصفون بصفات أهل المدن، ومنها عدم الاهتمام بالقبيلة، وبدلاً عن ذلك زاد الشعور بالفردية.

وضعف القبيلة ــ قبيلة بني حنيفة ــ أدى إلى نزوح عدد من أفرادها، والاستقرار في المدن داخل الجزيرة العربية ـ شرق الجزيرة ـ وخارجها. ويبدو أنهم اندمجوا في الفعاليات الاجتماعية والاقتصادية السائدة هنالك، وكونوا علاقات مع أفراد آخرين ليسوا من قبيلتهم. هذا علاوة على أن الدين الإسلامي

الذي يدعو إلى الأخوة والمساواة أضعف بدوره العصبية القبلية. وهو أمر ساعد عددًا من أفراد بني حنيفة لـلانضواء تحت مسميات جـديدة(٥٧). وهذا أيضا يفسر شيئًا آخر من الصعوبة التي تواجه من يتصدى لمعرفة مهاجر بني حنيفة.

ولكن ما الـذي يجعل بني حنيفة يقدمـون على مثل هذا الأمر، أي الانـدماج والانضواء تحت مسميات جديدة؟ حقيقة مع غياب نصوص صريحة لا نجد إلا أن نسلك طريـق التحليل والقيـاس التـاريخي، وهـو أمـر مشروع في أوسـاط المؤرخين. وللإجابة عن مثل ذلك التساؤل يرجح كاتب هذه السطور ما يلي:

أ ـ إن ارتفاع نسبة الإناث مقارنة بالذكور نتيجة مقتل عدد كبير من رجالات بني حنيفة في الحروب والـوقائع التي شهـدتها المنطقة منذ صـدر الإسلام وحتى نهاية العصر الأمـوي. وتناقص عدد الرجـال مدعاة لأن يبحث هـؤلاء عن سند قبلي أو عشـائري. وربما الدخـول في عشائر جـديـدة، وإخفاء حقيقـة نسبهم لأسباب سياسية أو اقتصادية(٥٨).

ب ـ وقوع عـدد كبير من نسـاء بني حنيفـة في الأسر نتيجة لصلح اليمامـة، وارتبـاطهن بزيجات خـارج نطاق القبيلـة. مما جعل زيـادة القبيلة الطبيعـية في تناقص مستمر(٥٩).

جـ ـ الخزي والعار الذي لحق ببني حنيفـة بسبب ردتهم وانضمامهم لحركات فُسرت على أنها ضـد الإسـلام. ولقـد ظل النـاس يعيرون بني حنيفـة بـردتهم وبهزيمتهم في معركـة عقرباء وبقتلهم الصحابـة. ولقد لاحظ هذا الأمر شـاعر من بني حنيفة وقال فيه شعرًا أشار فيه إلى أن بني حنيفة ليسوا الوحيدين في الردة عن الإسلام. ولكن الخزي والعار ظل يلاحقهم مما جعل أفرادًا من القبيلة يخفون حقيقة نسبهم، وعوضًا عن ذلك انتسبوا إلى عشائر أو قبائل أخرى(٦٠).

ثانيًا: رغبة البعض من رجالات القبيلة الاشتراك في الفتـوحات الإسلامية،

ولكنهم لا يستطيعون ذلك بسبب المنع الصادر من عاصمة الخلافة الإسلامية . لهذا اضطروا للانتساب لعشائر أو قبائل أخرى . أو ربما رفعوا أنسابهم إلى (بكر ابن وائل) أو حتى إلى جدهم الأعلى (ربيعة) . وقد يكونون مثبتين في ديوان العطاء بأسماء مختلفة . ولكننا لا نستطيع أن نجزم بهذا الأمر . فمعلوماتنا عن ديوان العطاء العائد للخلافة الراشدية قليلة جدًا . كما وأن النسابين لم يشيروا إلى أنهم استقوا منه شيئًا من معلوماتهم الخاصة بالأنساب . وأمر آخر فنحن لا نستطيع التحديد فيما إذا شمل ديوان العطاء جميع القبائل أم اقتصر على تلك التي تقدمت للخدمة العسكرية في صدر الدولة الإسلامية . وطبعًا بني حنيفة ليست منهم(٦١) .

لكن السؤال لا يزال يلح . هل استمر المقاتلون والمهاجرون من بني حنيفة في إخفاء أنسابهم؟ حتى عندما سمح عمر بن الخطاب لمن كان مرتدًا منهم بالالتحاق بالجيوش الإسلامية؟ بل وأضاف ، فأمر بمنع استرقاق العرب ، وبتحرير المسترقين منهم . وكان بيت مال الدولة يدفع المبالغ المطلوبة لإعتاقهم . لكن هنالك رواية وردت في المصادر مفادها أن المبلغ المخصص لفداء بني حنيفة كان أقل من نظيره المخصص لسائر القبائل العربية(٦٢) . الحقيقة إذا قلنا أن إخفاء النسب كان أمرًا ضروريًا لبني حنيفة لتجنب وصمة العار التي ربما لحقتهم من جراء الردة . فإن الإجراءات التي اتخذها الخليفة عمر ربما فُسرت على أنها إهانة لبني حنيفة ، مما جعلهم يستمرون في اخفاء نسبهم .

والفيصل في الأمر أنه مع مضي الوقت ، لم يعد بالإمكان الرجوع إلى المسميات الأصلية القديمة . فقد اندمج المهاجرون من بني حنيفة في مجتمعات جديدة . وعرفوا بأسماء جديدة . واختلطت القبائل ، واختلطت مواطنها نتيجة للهجرة الواسعة لعدد من العشائر والقبائل . وأصبحت العشائر المتجاورة أو المتقاربة في

النسب أو الضعيفة التي فقدت قوتها وكيانها عاجزة عن حماية نفسها لو عادت لأسمائها السابقة. وما حدث لبني حنيفة حدث لغيرهم. وليس هذا أمرًا جديدًا لم تعرفه العرب من قبل(٦٣).

٤ ـ ١ هجرة بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية:

يتضح من السياق السابق أن قبيلة بني حنيفة ـ مثلها مثل غيرها من القبائل العربية ـ رأت في الإسلام حافزًا قويًا للانسياح إلى الأمصار الإسلامية المفتوحة والاستقرار بها. وذلك بالاشتراك مع الجيوش الإسلامية في بداية زحفها العسكري أو بالهجرة فيها بعد. ولقد شهدت فترة الخلفاء الراشدين زخمًا متناميًا في مضمار الفتوحات والهجرة العربية على حد سواء(٦٤). وفي العصر الأموي استمرت هجرة بني حنيفة إلى خارج اليمامة للأسباب التي ناقشناها في الصفحات السابقة.

إن معرفة رجالات بني حنيفة للأقاليم التي راموا الهجرة إليها، لم تكن معرفة وليدة العصر الأموي. فقد عرفوها في العصر الراشدي. بل وفي العصور السابقة للإسلام. فالقوم أهل تجارة وعلاقات وطيدة مع جيرانهم. ومنها العلاقات السياسية والعلاقات الاقتصادية، ناهيك أن أقرباءهم من عشائر بكر بن وائل كانوا يرتادون المنطقة التي تمتد كما يقول الهمداني «. . . من اليمامة إلى البحرين إلى سيف كاظمة إلى البحر فأطراف سواد العراق فالأبله»(٦٥). فإن كان الأمر كما يصفه الهمداني، فالعراق سيكون أولى المناطق التي يؤمها مهاجرو بني حنيفة، وربما اتخذوا من أسماء عشائر بكر بن وائل غطاء لهجرتهم تلك.

وليس بعيدًا أن الهجرات من منطقة اليمامة شهدت تصاعدًا في أوقات مختلفة في العصر الأموي وحتى العصر العباسي. وذلك راجع للظروف السياسية وربما المذهبية. وهذا القول يحتاج من الباحث مقدارًا من الحيطة، إذ هنالك من

يعارضه، ويعتقد البعض أن أغلب الهجرات حدثت مع الفتوح الإسلامية الأولى في العراق والشام، واستمرت حتى بداية الفتنة الأولى(٦٦). لكننا في الوقت نفسه لا نستطيع أن نقف أمام الاصطلاحات ذات الدلالات السياسية أو الإدارية أو تلك التي تحمل مضمون الهجرة، دون محاولة الغوص فيها والاستنباط. وهو أمر من شأنه أن يوسع دائرة إدراكنا حول الهجرات العربية. وهذه الاصطلاحات تواجهنا في الأدبيات العائدة للعصر الأموي والعصر العباسي(٦٧).

ومن تلك الاصطلاحات التي ربما تصف الهجرات اصطلاح (الروادف) وتعني الموجة التي اتجهت إلى العراق. ثم اصطلاح (أهل القادسية) و(أهل الأيام) وهما اصطلاحان، وإن كانا يستعملان للدلالة على مفاهيم إدارية أو ذات علاقة بالعطاء. إلا أنهما يصفان موجات من الهجرات العربية. إن أغلب ما نعرفه عن (الروادف) ـ مثلاً ـ جاء عن طريق مكانتهم في سلم العطاء. فنحن نعلم أنهم مقسمون إلى عدة طبقات: فهنالك (الروادف الأولى والروادف الثانية). والفرق بينهما راجع إلى مقدار العطاء. ولكنه حتماً يشير بوضوح إلى أنهم جاءوا إلى الأمصار الإسلامية في فترات متعاقبة. ومايقال عن الهجرات إلى العراق يمكن أن يُقال عن الهجرات إلى الشام ومصر وشمال أفريقيا. لقد ذهب المؤرخ دونر إلى أن الشام لم تشهد هجرات من قبائل جزيرة العرب بعد الفتوحات الإسلامية الأولى إلا في نطاق ضيق(٦٨). وهو قول يحتاج من صاحبه جهداً لإثباته، لأنه سيتضح فيما بعد أن هجرة قبائل جزيرة العرب إلى الشام وغيرها استمرت ربما إلى القرن الرابع الهجري(٦٩).

٤ ـ ٢ هجرة بني حنيفة إلى العراق :

انتقلت قبائل من جزيرة العرب إلى العراق وحلت في أماكن جديدة أنشأتها

لنفسها، أو استقرت في مدن وقرى زراعية مأهولة من قبل. ولعل أول إشارة إلى عدد الذين دخلوا العراق في بداية الفتوحات الإسلامية من عشائر ربيعة ومضر؛ هو ثمانية آلاف رجل وهو الدعم الذي أرسله الخليفة أبو بكر لخالد بن الوليد بعد نزوله الأبلة على مشارف العراق. ولا يستبعد أن يكون عدد من بني حنيفة ضمن ربيعة؛ لأن الرواية لم تورد تفصيلات للعشائر التي كان داخلة في مسمى ربيعة ومضر(٧٠). ويبدو أن موقعة الجسر هزت الدولة الإسلامية، مما دفع الحكومة إلى أن تستجيش القبائل وتستنفرها للقتال(٧١). فقدمت الوفود إلى المدينة من مختلف بقاع الجزيرة. وكان ممن قدم قبائل من نجد واليمامة(٧٢).

لقد نزلت قبائل ربيعة وبكر بن وائل بأقسامها المتعددة مدن العراق وقراه. وكانوا يشكلون في رواية للطبري أربعة عشر ألف رجل(٧٣). وفي رواية للواقدي أن سعد بن أبي وقاص أنزل القبائل العربية الكوفة، وسمى عددًا منهم ثم قال: «... كما أسكنها أخلاطًا من الناس»(٧٤). ولا يستبعد أن اصطلاح (أخلاط) يعني عددًا من الأفراد الذين لا يشكلون عشيرة مستقلة. وربما من بين تلك الأخلاط التي سكنت الكوفة، أو غيرها من مدن العراق، عدد من بني حنيفة، كما سيتضح لنا في الصفحات التالية.

٤ ـ ٢ ـ ١ بنو حنيفة في البصرة :

كان عدد العرب المسجلين في ديوان عطاء البصرة زمن خلافة علي بن أبي طالب ستين ألفًا(٧٥). ثم ارتفع عددهم في زمن ولاية زياد بن أبي سفيان إلى ثمانين ألفًا. وكان عدد عيالاتهم مائة وعشرين ألفًا(٧٦). وهذا الرقم هو الذي كان مسجلاً في ديوان العطاء. فإذا أضفنا إليهم ما كان غير مسجل، وهو رقم لا نستطيع الجزم به، ربما وصل الرقم إلى نصف مليون نسمة(٧٧). لكن كيف نستطيع أن نحدد بني حنيفة من مجموع سكان البصرة؟ إنه أمر صعب، لكننا في

الوقت نفسه نستطيع أن نستبين أن اليمامة ضُمت إلى البصرة في خلافة معاوية ابن أبي سفيان، مما جعل بني حنيفة ــ وهم على كل حال أغلب سكان اليمامة ــ يتجهون في هجرتهم وجهادهم إلى البصرة(٧٨).

وإجراء ضم اليمامة إلى البصرة، الذي اتخذه معاوية إجراءً إداريًا بحتًا، يتعلق بالمقاتلة من أهل اليمامة، وأن عليهم أن يقاتلوا ضمن مقاتلة البصرة. وهو إجراء فيما يبدو لا علاقة له بالنواحي المالية. فقد جرت العادة منذ الخلافة الراشدية أن تُرسل اليمامة خراجها إلى المدينة(٧٩). وقد أصبح هذا تقليدًا حتى زمن خلافة عبد الملك بن مروان. ويظهر أن هذا الإجراء المالي جاء عندما فصل معاوية الصوافي في اليمامة عن بيت المال وجعلها خاصة للخليفة نفسه(٨٠).

ونستطيع كذلك أن نتبين علاقة اليمامة بالبصرة من الإجراءات التي اتخذها زياد بن أبيه وابنه عبيد الله من بعده. فالأول أدخل تعديلات على شجرة النسب العربية في البصرة. حيث أدخل بعض القبائل العربية عشائر عربية أخرى لا تمت لها بصلة النسب. بل إنه أدخل أحيانًا وحدات من العجم ضمن القبائل العربية، فأدخل مع بني تميم عشائر من بني العَم الأهوازيين(٨١). والشيء نفسه فعله مع حميس الحجازية إذ ضمها إلى بني تميم(٨٢). وكذلك ضم الأساورة والسيابجة والزط مع العجم(٨٣). كما أدخل بنانه(٨٤)، وعائشة(٨٥)، وناجية(٨٦)، وسامة العمانية ضمن أهل العالية(٨٧).

أما عبيد الله بن أبي زياد فقد جلب ألفين من الأتراك الذين أسرهم من قبل في حملاته في أواسط آسيا، فأسكنهم البصرة. وجعلهم في العطاء، ومنحهم الأرزاق واستعملهم في اخضاع بعض المتمردين من العرب في اليمامة، وتسميهم العرب (البخارية)(٨٨). ومنهم من استقر في اليمامة ثم هاجر منها إلى العراق. ولا يستبعد أنهم شكوا مع بعض أفراد بني حنيفة شكلاً من أشكال الحلف.

تلك الإجراءات ما كـانت تتم لولا وجود عشائر عربيـة قليلة العدد، ليست ذات ثقل سيـاسي، ولعل بني حنيفة في البصرة من ضمن العشـائر التي ضُمت إلى (أخلاط النـاس)، وهو التعبير السائد في ذلك الـزمان. والدولة الأمـوية في تعاملها مع المهاجرين من بني حنيفـة تعاملهم من هذا المنطلق. فعادة ما تضم إليهم الأقليات المسلمة من إيران، وذلك بحكم العلاقات السابقة بينها. نجد مصداق ذلك في الـرواية التي وردت عنـد البلاذري من أن مجمـوعة من العجم هاجرت من اليمامة إلى البصرة، وابتنوا مسجدًا يقال له (مسجد الحامره). وكانوا في البصرة في عداد بني حنيفة بحكم إقامتهم الطويلة في اليمامة قبل هجرتهم إلى البصرة(٨٩).

وقد لاحظ هذا الأمر باحث معـاصر. إذ وجد أن العشائر التي تُنسب إلى بني حنيفـة في البصرة في الفترة الأمـويـة تبلغ خمس عشـائر. وليـس بعيدًا أن تلك العشـائر لا تمت أصلاً لبني حنيفـة بأواصر النسب القبلي(٩٠) أما بكـر بن وائل فيُنسب إليها ثلاثون عشيرة تلحق بها. وقد ذكر تلك الأرقام عدد من المؤرخين. لكننا لا نستطيع أن نتبين أسماء تلك العشائر على وجه الـدقة. وأعود فأقول أنه ليس بالبعيد أن عـددًا من بني حنيفة دخل في عداد تلك العشـائر. وخاصة في عشيرة يشكر التي ذكر الطبري أن عـدد من يلحق بها أربع عشائر. بينما يجعلهم البلاذري ست عشائر(٩١). وعلى كل حال، لم يصلنا أن لبني حنيفة خططًا في البصرة خاصة بهم، وهو ما يؤيد ما سبق أن قلناه من أن المهاجرين إلى البصرة، من بني حنيفـة في العصر الأموي نـزلوا في خطط عشـائر أخرى. ولـذا لم يحظوا باهتمام المؤرخين(٩٢).

ولدينا دليل تاريخي آخر. ففي (يوم الجفرة سنة ٦٩هـ) وهو يوم جرت المعركة فيه بين الزبيريين والأمويين، قال وهب بن أبجر العجلي واصفًا المعركة(٩٣):

ونحن صَرمنا أمر بكرِ بن وائل
وأنتَ بتاجٍ لا تمرُ ولا تُحْلي
هجرتَ لُجيمًا إن أصبت زِيادة
وعُدت بِهِم عند الزَلازِل والأزلِ
فلا تَرجُ خيرًا عند باب ابن مسمعٍ
إذا كُنت من حَيَّيْ حنيفةَ أو عجلِ

فقد ذكر الشاعر عشائر ترجعَ إلى أرومة واحدة، تجمعها مع بني حنيفة أواصر النسب. وترجع كلها إلى بكر بن وائل. هذه العشائر هي لجيم وابن مسمع وحنيفة وعجل. وهو يؤكد أن هجرات بني حنيفة واستقرارهم في البصرة شهد زيادة مضطردة في العصر الأموي.

وفي ديوان الفرزدق إشارات عديدة عن كثرة وجود بني حنيفة في البصرة زمن الأمويين. وهو أمر غير مستغرب خاصة إذا عرفنا أن البصرة كانت من الأمصار التي عرفت هجرات متتالية منذ أوائل العصر الراشدي. وكانت رئاسة قبيلة ربيعة - القبيلة الأم لحنيفة - في زمن خلافة علي بن أبي طالب لرجل من بني حنيفة اسمه حريث بن جابر الحنفي (٩٤). وكانت الرئاسة تكاد أن تكون حكرًا في بني حنيفة أو في بكر بن وائل. فقد اضطلع بها الحضين بن المنذر الذهلي من بكر بن وائل. ثم صارت لخالد بن المعمر (٩٥). كما نجد أن أربعة من أشهر العسكريين من بني حنيفة قادوا الجيوش لفتح الأمصار التي تتبع البصرة وهم(٩٦):

١ . أمير بن أحمر اليشكري .   متولي فتح قوهستان والطلقان .
٢ . خليد بن عبد الله .   متولي فتح هراة .

٣. أبو مريم الحنفي.	متولي فتح مهر مز.
٤. منجوف بن ثور السدوس.	متولي فتح مهرجا نقدف واليثبان.

٤ ـ ٢ ـ ٢ بنو حنيفة في الكوفة :

وهي المدينة الثانية في العراق التي اتجه إليها المهاجرون والمقاتلة من بني حنيفة. ويبدو أن استقرار بني حنيفة في الكوفة جاء متأخرًا مقارنة باستقرارهم في البصرة. يورد البلاذري خبرًا مفاده أن لبني حنيفة علاقات خاصة تربطهم مع والي الكوفة آنذاك عبيد الله بن زياد، ونستشف من ذلك الخبر أن عددهم ليس كبيرًا(٩٧). وأثناء الحرب الأهلية التي نشبت بين مصعب بن الزبير والمختار الثقفي سنة ٦٧هـ. قُتل الأخير على يد أخوين من بني حنيفة يُقال للأول طرفة وللثاني طراف ابنا عبد الله بن دجاجة الحنفي(٩٨).

ولو ألقينا نظرة على عدد السكان في الكوفة زمن الدولة الأموية، لوجدنا أن العدد يربو على نصف مليون نسمة. نصفهم من قبيلة ربيعة لوحدها(٩٩). وتواجهنا صعوبة في التعرف على النسبة العددية لبني حنيفة من الرقم الخاص بقبيلة ربيعة. وفي هذا السياق ذكرت المصادر أن عددًا من القرى والضياع تقع بالقرب من الكوفة استوطن فيها العرب. هذا بالإضافة إلى أن الحكومة الأموية بنت عددًا من (المسالح) التابعة للكوفة. و(المسالح) اسم يطلق على حاميات حربية أمامية. وقد بُنيت تلك الحاميات (المسالح) لمقتضيات الأمن. ويأتي على رأسها التصدي للخوارج. ونحن نعرف سلفًا أن عددًا من الخوارج كانوا من بني حنيفة، ومن جيرانهم من عشائر اليمامة، مما يعني أن عددًا من بني حنيفة هاجر من اليمامة إلى الكوفة وأطرافها للالتحاق بأقربائهم من الخوارج. وربما استقر في الكوفة أو في المناطق المجاورة لها.

وكذلك من التوزيع الجغرافي للمسالح نستطيع أن نتعرف على أماكن وجود

الخوارج في الكوفة وأطرافها. وهي تمتد من المدائن والأنبار وجوخي، والراذان وحتى جلولاء. ويظهر من التقارير الواردة في المصادر العربية أن انتشار بني حنيفة في الكوفة وأعمالها كان واسعًا. ولكن ليس بكثافتهم في البصرة(١٠٠). ولا يظن الباحث أن الرقعة الجغرافية التي أقيمت فيها (المسالح) تخرج عن التحديد الجغرافي والإداري لثغور الكوفة. فقد ذكر الطبري أن عدد تلك الثغور أربعة وهي: حلوان، وماسبذان، وقرقيسيا، والموصل. وهو التقسيم نفسه الذي كان سائدا زمن الخلافة الراشدية(١٠١). لكننا أيضا نفهم من رواية أخرى للطبري أن الانسياح العربي في مناطق الكوفة لم يحدث إلا بعد وفاة عمر بن الخطاب. وأيًا كان الأمر، فقد انتشر العرب في مناطق الكوفة العديدة زمن الدولة الأموية وكانوا يطلقون على تلك الهجرات (الروادف)(١٠٢).

وفي محاولة للتعرف على الوضع الديمغرافي في الكوفة زمن الخلافة الأموية. يصطدم المرء بعقبة أن الأرباع أو الأخماس؛ وهي الخطط التي نزلت بها العشائر العربية منذ انشائها وحتى زمن ولاية زياد بن أبيه لم يرد ذكر خطة خاصة باسم بني حنيفة. لكن السرّي يذكر أن هنالك عددًا من خطط الكوفة لم تحمل اسمًا قبليًا، بل حملت أسماء مكانية. والسبب كما يقول لأنها يسكنها (اخلاط من الناس)(١٠٣). ونحن نعرف سلفًا أن مثل هذا التعبير يطلق على عدد من العشائر الصغيرة والتي لا تنتمي إلى نسب واحد. ولا يستبعد أن بني حنيفة كانوا يسكنون في مثل تلك الخطط.

٤ ـ ٣ هجرة بني حنيفة للمشرق الإسلامي:

كان من أهم نتائج معركة نهاوند أن انساح العرب في الهضبة الإيرانية. فقد اطمأن العرب المقيمون قبل هذه المعركة في المدن المفتوحة مثل ما سيذان والمدائن والأهواز ورامهرمز وتستر وجند يسابور. وجاء الاستقرار العربي في تلك الأماكن

نتيجة لقربها من البصرة . كما اتخذ الخوارج من تلك الأماكن ميدانًا لحركاتهم . وكانت للعرب فيها سبعة مراكز إدارية يقيم فيها الولاة وأقرباؤهم وعشائرهم .

ولم يكن العرب المسلمون تنقصهم الدراية ببلاد فارس وإيران . ففي رواية أوردها الطبري يشير إلى أن عشائر من بكر بن وائل كانوا يقيمون في كرمان . وهم الذين يدعون (بكر أبان) . كما أن بني حنظلة اتخذوا قرية الرميلة بمنطقة الأهواز وفي جنديسابور سكنًا لهم . وكانت تلك الهجرات والاستقرار قبيل مجيء الإسلام(١٠٤).

لقد شهدت تلك الأماكن هجرات من قبيلة بني حنيفة في العصر الراشدي وفي العصر الأُموي . وكانت تختلف من وقت لآخر . ولعل السبب يعود إلى التعديلات الإدارية وتوزيع المسؤوليات العسكرية التي تمت زمن خلافة عثمان ابن عفان ؛ والتي جعلت قرقيسيا والموصل تابعة لوالي الشام ومكملة للجزيرة . وأصبحت الري وأذربيجان تابعة لوالي الكوفة(١٠٥). ويعتقد الباحث أن كلاً من أذربيجان والري وأردبيل لم تشهد هجرة واستقرارًا واسعًا من قبل بني حنيفة في العصر الراشدي . وأغلب هجرتهم إلى تلك المناطق حدثت زمن الدولة الأموية . والسبب يعود إلى أن الخليفة علي بن أبي طالب هو أول من أسكن العرب تلك المناطق . وديوان العطاء في عهد علي لم يكن يحتوي على أسماء كثيرة من بني حنيفة ، وذلك لتعاطفهم مع الخوارج . وسبب آخر وهو أن عدد بني حنيفة من اتباع علي كان قليلاً . ولذا نستبعد هجرتهم إلى تلك المناطق في العصر الراشدي . ولا بد إذن ولهذه الأسباب مجتمعة أن تكون هجرتهم حدثت في العصر الأموي . ولعل أكثرهم كانوا من أصحاب المهن وخاصة المزارعين ، الذي وجدوا في المساحات المزروعة فرصة للعمل والإقامة . وتذكر كتب التاريخ أن عددًا من العرب اشترى المزارع الكبيرة من أصحابها العجم(١٠٦).

إن فحصًا دقيقًا للتقارير التاريخية والأدبية العائدة للعصر الراشدي والأموي يشير بوضوح إلى كثر المهاجرين والمستقرين من بني حنيفة في المواضع التابعة للبصرة. وهذه قائمة بأسماء تلك المواضع(١٠٨):

اسم المدينة	ملاحظات تاريخية
نهاوند	شارك في فتحها ثلاثون ألفا من مختلف القبائل.
الأهواز	استوطنها عدد كبير من الخوارج.
رامهرمز	الذي فتحها وتولى ولايتها أبو مريم الحنفي من قبل أبي موسى الأشعري والي البصرة.
سرّق	تقع في منطقة الأهواز. تولى ولايتها أبو مريم الحنفي للخليفة عمر بن الخطاب.
اردشيرخره، سابور	
نوح، تساد دارا بجرد	
سجستان، كرمان	
مرو	تولى إمارتها أمير بن أحمر. ويقول الطبري إن أكثريتها من عشائر بكر بن وائل(١٠٨).
ابرشهر	تولى ولايتها خليد بن عبد الله من قبل زياد بن أبيه.
تستر	فتحها خالد بن معمر ومنجوف بن ثور السدوسي.
قم، طخارستان	
جرجان، هرات	فتحها خليد بن عبد الله.
اصطخر، وقوهستان	فتحها أمير بن أحمر اليشكري.
أصبهان	هاجر إليها عدد من بني حنيفة.

وواضح من القائمة السابقة أن أفرادًا من بني حنيفة أو أقربائهم من عشائر بكر بن وائل أو من جيرانهم في اليمامة قد تقلدوا مناصب عسكرية وإدارية رفيعة، وهذا بالتالي يعني أنهم شجعوا أقرباءهم على الهجرة والاستقرار في تلك المدن. يقول أبو عبيدة في هذا السياق أن أمير بن أحمر اليشكري هو الذي فتح قوهستان وأنها: «. . . هي بلاد بكر بن وائل إلى اليوم»(١٠٩).

وهنالك خبر يشير بوضوح إلى كثرة بني حنيفة في خراسان التي أصبحت من أعمال البصرة في العصر الأموي. فقد حدث في تلك المنطقة مشكلة سياسية - إدارية سنة ٥١هـ، وذلك اثر وفاة واليها السابق أمير بني أحمر اليشكري المدعوم من بكر بن وائل، حيث تنازع على ولايتها مضر وربيعة. فقد آل حكم خراسان إلى أنس بن أبي أناس. إلا أن زيادًا والي البصرة لم يرق له ذلك. فعزل أنسًا وولى خليد بن عبد الله الحنفي، وهو إجراء يلبي تطلعات أغلبية السكان من بني حنيفة وسائر عشائر بكر بن وائل. فقال الوالي المعزول شعرًا يصف الحادثة. ويعرّض ببني حنيفة القاطنين بخراسان. ويصفهم بأنهم مزارعون لا يجيدون فن الإدارة والحكم ولا يصلحون لهما. ويقول إن أولهم وآخرهم عبيد. وهي إشارة واضحة إلى وصمة العار التي ظلت تلاحقهم منذ معركة عقرباء حيث وقع عدد كثير منهم في الأسر(١١٠).

وعندما يذكر المدائني القبائل الموجودة في خراسان أيام ثورة قتيبة بن مسلم الباهلي ضد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك، يقول «. . . وبخراسان يومئذ من المقاتلة من أهل البصرة تسعة آلاف، وبكر سبعة آلاف، وتميم عشرة آلاف، وعبد القيس أربعة آلاف، والأزد عشر آلاف، ومن أهل الكوفة سبعة آلاف، والموالي سبعة آلاف»(١١١). هذا النص فريد من نوعه - كما يقول ناجي حسن - لأنه يعرض لعدد العشائر والقبائل القاطنة في خراسان في العصر

الأموي، ونحن لا نشك أن بني حنيفة يشكلون أكثرية السبعة آلاف رجل المنسوبين لبكر بن وائل. طبعًا هذا الرقم لا يشمل النساء والأطفال. ودليلنا في ذلك ما قاله الوالي قتيبة بن مسلم الباهلي في خطبته، مخاطبًا عشائر بكر بن وائل عندما أزمع على خلع طاعة الخليفة سليمان بن عبد الملك سنة ٨٦هـ ــ فقد خاطبهم قائلاً: «. . . يا معشر بكر بن وائل يا أهل النفخ والكذب والبخل. بأي يوميكم تفخرون. بيوم حربكم أو بيوم سلمكم. يا أصحاب مسيلمة». هذا إلى جانب أنه يذكّرهم بأنه ضم إليهم إخوانهم وأقرباءهم. وهي دلالة على هجرات لبني حنيفة إلى خراسان قدمت إليها في العصر الأموي(١١٢).

كما سكن العرب في الكرج ومنهم أناس من عجل ومن انضوى إليهم من سائر العرب. وهي إشارة واضحة إلى وجود عدد من أبناء سائر عشائر العرب سكنت مع عجل. ولا يستبعد الباحث أن أفرادًا من بني حنيفة هاجروا مع عجل إلى الكرج إذ نجد إشارات متعددة لعلاقات وثيقة تربطب بين عجل وبني حنيفة، فقد كانوا متجاورين في اليمامة قبل هجرتهم إلى المشرق(١١٣).

٤ ـ ٤ هجرة بني حنيفة للشام :

لقد كان في الشام قبل الإسلام استيطان عربي وهو أمر فيما يبدو سَهَّل عملية الاستقرار الجديد. والملاحظ أن المهاجرين الجدد سكنوا المدن والقرى الساحلية(١١٤). ولقد استمر تدفق المهاجرين إلى زمن متأخر من الخلافة الأموية. وأَمَّ الشام عدد كبير من قبائل العرب. ولباحث معاصر رأي يخالف ما سلف ذكره. حيث يعتقد أن الهجرة إلى الشام توقفت بعد إتمام عملية الفتوح إلا في نطاق ضيق(١١٥).

ولعل أول إشارة إلى وجود بني حنيفة في الشام قبل قيام الدولة الأموية هو ما ذكره نصر بن مزاحم من أنه «. . . كان على خثعم ولفّها حمل بن عبد الله

الحنفي» وذلك إبان سيرهم إلى صفين(١١٦). ويتبين من رواية نصر أن قائدًا عسكريًا من بني حنيفة كان على رأس فرقة من جيش معاوية. وما كان بمقدور حمل بن عبد الله الحنفي أن يصل إلى هذا المركز لولا أن في جيشه عددًا من عشيرته. وأمر آخر جدير بالملاحظة وهو قول نصر: «... كان على خثعم ولفّها»، حيث اعتاد بعض الرواة ذكر اسم عشيرة واحدة واغفال من سواها.

وتشير بعض التقارير إلى أن الشام شهدت موجات من الهجرة متأخرة. ففي سنة ١٢٤هـ جيّش الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أعدادًا كبيرة من قبائل العرب (كطوالع للأندلس). ومن تلك القبائل ربيعة، التي قيل أن فيها عددًا من الخوارج(١١٧). ولا يستبعد أن الخوارج المعنيين في هذا النص هم من خوارج اليمامة الذين ينتسبون إلى ربيعة وهم في الأصل من بني حنيفة، وهو أمر ناقشناه في الصفحات السابقة. وكانت الإدارة الأموية تجعل قبول مهاجرين جدد من منطقة اليمامة إلى الشام مرهونًا بالبراءة من الخوارج النجدية. فعندما هاجرت عشيرة بني نمير من أهل اليمامة إلى الشام. سبقهم شاعرهم الراعي النميري وقابل الخليفة عبد الملك بن مروان، وأعلن في قصيدة مشهورة تبرؤه من عبد الله ابن الزبير وخوارج اليمامة(١١٨). ويذكر اليعقوبي إن عدد المدن والقرى الشامية التي يقطنها بنو حنيفة أو اليماميون إجمالاً كثيرة. ومنها الغوطة؛ التي يغلب عليها قوم من ربيعة. أو عرقة؛ التي يقطنها بنو حنيفة. ويكثر في جنين الرحبة من أعمال فلسطين بنو بكر؛ الذين عادة ما يدخل معهم في هذا الاسم بنو حنيفة(١١٩).

أما الجزيرة وهي المنطقة الواقعة بشمال شرق بلاد الشام. وكانت لها أهمية كبيرة. وخاصة في زمن الدولة الأموية. وتشمل تلك المنطقة بالس، وقاصرين، والرها، وحرّان، ورأس كيفا، وسميساط، وماردين، وسنجار، والرقة،

وقنسرين، وقرقيسيا(١٢٠). فقد أنزل معاوية بن أبي سفيان عشائر من ربيعة في الجزيرة وخاصة في سنجار.

لقد حدثت تغييرات في منازل العرب في الجزيرة إبّان الفتنة الأولى، إثر مقتل الخليفة عثمان بن عفان. فسكن جماعة من اليمامة حران.(١٢١) أما الصورة النهائية لسكان الجزيرة فقد وصفها ابن حوقل، الذي ذكر أن فيها عشائر وأخلاطًا من ربيعة وقشير وعقيل وبني نمير. وليس بعيدًا أن أفرادًا من بني حنيفة وجدوا طريقهم إلى إقليم الجزيرة ضمن الأسماء السابقة التي ذكرها ابن حوقل. وهي عشائر وقبائل كانت تقطن اليمامة قبل أن تسكن الجزيرة(١٢٢).

٤ ـ ٥ هجرة بني حنيفة إلى مصر وأفريقية والأندلس:

كان الفتح الإسلامي لمصر منظمًا على أساس قبلي. بمعنى أن كل قبيلة كانت تكون كتيبة مستقلة، تحمل راية يعرفون بها. لكن هنالك قبائل لم يشهد الفتح منها سوى عدد قليل لم يكن كافيًا لتكوين كتيبة مستقلة. فوضعهم عمرو ابن العاص تحت راية خاصة وسمو (أهل الراية). واعتمد هذه التسمية فيما بعد في (الخطط والديوان)(١٢٣). ولكن لم تذكر كتب التاريخ أسماء (أهل الراية). وهو أمر متروك للاستنتاج.

وكانت عنزة وبنو حنيفة وبنو نمير وعشائر مختلفة من ربيعة قدمت مصر في أوقات مختلفة منذ الفتح الإسلامي، واستمر قدومها متقطعًا حتى زمن الخليفة المتوكل العباسي. يذكر ابن عبد الحكم أن بمصر دورًا مجتمعة نحوًا من عشرين لعنزة(١٢٤). ويبدو أن الهجرات من اليمامة إلى مصر، وخاصة في العصر الأموي ثم العباسي تدل على أن أفرادًا أو جماعات كانوا يلحقون بأقربائهم أو بعشائرهم، التي سبقتهم في الهجرة إلى مصر. ويذكر اليعقوبي أن بني حنيفة في هجرتهم الكبيرة إلى مصر في القرن الثالث الهجري. واستقرارهم في منطقة

العلاقي؛ التي تشتهر بمناجم المعادن(١٢٥). تلك الهجرة جاءت نتيجة لوجود أقرباء لهم كانوا قد سبقوهم في الهجرة. وهو أمر قلما فطن إليه الباحثون المعاصرون الذين غالبًا ما يركزون على وجود مصدر معيشي يجذب المهاجرين الجدد. ومن نص ورد عند ابن حوقل نستشف أن عدد القادرين من رجال بني حنيفة على حمل السلاح يبلغ ألف رجل، فإذا أضفنا لهم عوائلهم لوصل الرقم إلى ٥٠٠٠ نسمة. ويضيف المقريزي أن عشائر ربيعة قد أسسوا بعض القرى في بلاد النوبة مثل النماس، ووصلوا إلى سواكن(١٢٦).

كما استقر عدد من عشائر ربيعة في أفريقية والأندلس. ولعل أول إشارة لتلك العشائر وردت عند ابن القوطية، مفادها أن الجيش الذي أرسله هشام بن عبد الملك إلى الأندلس سنة ١٢٤هـ كان يضم عددًا من عشائر ربيعة. ويضيف بأن خوارج اليمامة والجزيرة والموصل كانوا ضمن تلك العشائر. ويحتمل أن عددًا من بني حنيفة، الذين هاجروا من اليمامة إلى أفريقية والأندلس، بعد مرورهم بدمشق وتسجيلهم في ديوان العطاء، هم المقصودون بخوارج اليمامة والجزيرة والموصل؛ لأن إطلاق مسمى الخوارج أصبح فيما يبدو في العصر الأموي علمًا على بني حنيفة في الخصوص وسكان اليمامة في العموم(١٢٧).

وسكنت باهلة بعد مغادرتها اليمامة في مناطق جيان وطليطلة ووادي الحجارة، وسكنت نمير غرناطة والبراجل، وسكنت قشير جيان، وسكنت بكر ابن وائل في وادي آنة(١٢٨). ومن خلال تتبع الهجرات العربية. نجد أن مغادرة عدد كبير من الأفراد أو الأسر لا تحدث إلا من جراء ضرر لحق بها. ونحن نعرف أنه خلال الفترة بين ١٢٤هـ ــ ١٢٦هـ حدثت اضطرابات كبيرة في اليمامة. واختل الأمن. وأصبحت السلطة المحلية غير قادرة على حفظ الأمن. وكثر

القتل والسرقة والتعديات. وكان المتضرر من جراء هذا المزارعون وعمال المناجم وهم في الغالب من بني حنيفة وجيرانهم باهلة ونمير وقشير وسائر عشائر بكر ابن وائل. فغادروا في هجرات إلى الشام وربما إلى الأندلس كما مر معنا، وليس بعيدًا أن أفرادًا من بني حنيفة دخلت مع نمير أو قشير أو ربما انضوت تحت اسم بكر بن وائل أو باهلة في هجرتها إلى الأندلس. والجدير بالذكر أن الحكومة الأموية لم تفطن لتردي أوضاع المناجم في اليمامة إلا في حدود سنة ١٢٨هـ. عندما شرعت في إقامة إدارة خاصة للإشراف على مناجم اليمامة والاهتمام بها (١٢٩). ولكن بعد أن غادرها عدد كبير من العاملين فيها.

يتضح من خلال الصفحات السابقة عددًا من النتائج يأتي على رأسها أن الهجرات العربية ـ بما فيها هجرة بني حنيفة ـ لم تتوقف في العصر الأموي، كما يذهب لذلك عدد من المؤرخين. كما نلاحظ أن هجرات بني حنيفة من اليمامة في العصر الأموي كانت بسبب عوامل دينية وسياسية واقتصادية ومذهبية. وهي إلى حد كبير الأسباب نفسها التي قادت أوائل المهاجرين من اليمامة إلى شرق الجزيرة العربية والعراق في العصر الراشدي.

لقد أبان البحث أن أغلب هجرات بني حنيفة اتجهت إلى العراق وخاصة البصرة والأمصار التابعة لها. ولاحظنا كيف أن السياسة قد تتدخل في بعض الفترات فتغير من إتجاه بعض موجات الهجرات. ولعل من أهم القضايا التي ناقشها البحث هي محاولة الإجابة على تساؤل طالما شغل اهتمام مؤرخي اليمامة، ذلك هو مصير قبيلة بني حنيفة بعد الردة. وكيف أنهم اندمجوا بل وذابوا في عشائر وقبائل تمت إليهم بصلة النسب أو الجوار. هذا الأمر هو الذي أدى بالباحث إلى تتبع هجرات بني حنيفة إلى الأمصار الإسلامية.

الهوامش والتعليقات

(١) يعتقد عبد العزيز الغزي أن بداية الاستيطان في منطقة اليمامة بدأ منذ الألف الثالث قبل الميلاد، ووصلت قمة الاستيطان في الألف الأول قبل الميلاد، ويبدأ الاضمحلال منذ القرن الرابع الميلادي، حيث انتهت المستوطنات القديمة في القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجري) انظر دراسته:

A. al-Ghazi, A Comparative Study of Pottery from a site in al Kharj Valley, central Arabia. unpublished thesis, Univ. of London, Institute of Archaelogy. 1990. pp. 197-288.

(٢) أبو الفدا، تقويم البلدان، ص ٩٧

(٣) إسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، ص ٥

(٤) بروكلمان، تاريخ الشعوب السامية، ج١ ص ١٣

(٥) عبد الله البري، القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى، ص ٧

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٣

(٧) ناقش عبد الله البري أهمية التجارة لدى البطالمة ودول شبه الجزيرة العربية وأثر التجار على كلا الجانبين. انظر المرجع السابق، ص ٢٤.

(٨) محمد كامل حسين، أدب مصر الإسلامية، ص ١٦

(٩) انظر رأي شارب في بتلر، فتح العرب لمصر، ص ٤٠ اشتراك عرب الجزيرة في جيش كسرى إبان فتح مصر، ليس هو الأول من نوعه. فقد ذكر هيرودوتس من أن قمبيز استعان بعدد من عرب الجزيرة في حملاته ضد مصر. انظر بهذا الخصوص، جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ٦٢١.

(١٠) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ٥٩ ـ ٦٢.

(١١) مناقشة لأراء كل من المسعودي والمقريزي وبتلر في محمد كامل حسين، المرجع السابق، ص ١٧ وما بعدها

(١٢) بندلي جوزي، الحركات الإسلامية، ص ١٧ كان بندلي جوزي مبهورًا لدرجة عظيمة بأبحاث فلهوزن، والأمير كايتاني، ولامانس، ونولدكة، وبارثولد وبتلر المتعلقة بالهجرات العربية في صدر الإسلام. وقد جاءت بحوث أولئك الأعلام وهي تحمل تغليبًا للعوامل الاقتصادية عن ما سواها، خاصة عامل الدين الذي أغفل. وهو أمر لم يعد مقبولاً لدى دوائر الدراسات

الإسلامية . وانظر رأي جواد علي في هذه المسألة ، المرجع السابق ، ج٤ ، ص ٤١٤ وما بعدها .

(١٣) أبو تمام ، الحماسة ، ج٢ ، ص ٤١٨ والبيت للشاعر حكيم بن قبيصة مخاطبًا ابنة بشير

(١٤) انظر مناقشة أراء بعض المؤرخين وبالخصوص رأي فيليب حتي في كتابة تاريخ العرب ، ج ١ ، ص ١٩٥ ـ ١٩٦ .

(١٥) لم ينظر أحد من المؤرخين إلى أن تلك الهجرات كانت بمثابة هجرات دينية ، باعتبار اختلاف حركة الفتوحات عن حركة الهجرات . انظر : ابن سلام ، الأموال ، ص ٢٣٠ ـ ٢٣١ .

(١٦) ناقش عبد الله البري فلسفة الهجرات العربية وعلاقتها بالدين الإسلامي . انظر كتابه السابق ، ص ٤٢ وما بعدها . وانظر رأي الإسلام في السعي للجهاد في : الطبري ، مختصر جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ج ١ ، ص ٣٢٧ .

(١٧) هنالك من يرى خلاف هذا الرأي ، ويذهب هؤلاء إلى أن مشاركة بني حنيفة في (معركة قضة) مع سائر فروع ربيعة جاء نتيجة لعلاقات وطيدة قبل المعركة بسنوات . انظر : نزار الحديثي ، اليمامة وردة مسيلمة ، ص ٥٣ .

وعن (معركة قضة) التي انتصرت فيها بكر بن وائل وعنزة وضبيعة على تغلب والنمر وغفيلة . انظر : البكري ، معجم ما استعجم ، ص ٨٥ وجاء عند العسكري أن (يوم قضة) من أيام البسوس . انظر كتابه التصحيف والتحريف ، ص ٤ ويقول ابن قتيبة إن يوم قضة هي وقعة بكر وتغلب العظمى ، انظر : المعارف ، ص ٩٧ .

(١٨) ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ، ج١ ، ص ٩٢٥ وانظر ابن الكلبي : جمهرة النسب ، ص ٤٩٠ .

(١٩) امتنعت بنو حنيفة من المشاركة في التحالفات القبلية / العسكرية . مثل ذلك عدم اشتراكها في حلف (اللهازم) . وهو الحلف الذي استوعب أكثر بطون ربيعة المقيمة في اليمامة ، وكان له دور كبير في بعض أيام العرب مثل (يوم طلح ويوم بلقاء) وقد ترأس ذلك الحلف أبجر بن بجير العجلي انظر : أبو عبيدة ، نقائض جرير والفرزدق ، وأيضا انظر : الأصفهاني ، الأغاني ، ج ١١ ، ص ٢٩٦ وكذلك الألوسي ، بلوغ الأرب ، ج٢ ، ص ٦٩ يرى أبو الفرج الأصفهاني أن بني حنيفة مبتعدة عن البداوة ، وأن علاقاتها مع غيرها توصف بأنها متحضرة حتى مع أعدائها . الأغاني ، ج ١١ ، ص ٥٠ .

(٢٠) الجاحظ ، الحيوان ، ج٤ ، ص ٣٨٠ .

(٢١) ابن سلام ، الأموال ، ص ٥٩ انظر مجمل تلك التقارير في : محمد حميد الله ، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص ٢٩٦ .

(٢٢) عن هذا الأمر انظر : البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٦٤ .

(٢٣) يعتقد أحمد شلبي أن الدولة الأموية اهتمت بمنطقة اليمامة ، وذلك بسبب صلتها ببلاد فارس ، وتخوف خلفاء بني أمية من انتقال التيارات الفكرية وروح التمرد إليها ، بالإضافة إلى مكانتها

الاستراتيجية. ويضيف بأن اليمامة لم تشهد إهمالاً من لدن القيادة السياسية في دمشق. انظر مجمل تحليلاته التي لا يطمئن الباحث بصحتها في كتابه: موسوعة التاريخ الإسلامي، ج٧، ص ٤٢٠.

(٢٤) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج٦، ص ٢٨٩ انظر من هذا القبيل تعيين زياد بن أبي سفيان للشماخ عاملاً في اليمامة.

(٢٥) خليفة بن خياط، تاريخ، ج١، ص ٣٩٣ لعل تسميتهم بالنجدات جاء للتفريق بينهم وبين من انتسب إلى بلاد نجد. انظر: المقريزي، الخطط، ص ١٧٨. وبعد مقتل نجدة انقسم خوارج اليمامة إلى ثلاث فرق:

النجدية، والعطوية، والفُديكية. انظر: الأشعري، مقالات، ج١، ص ١٧٦ وكذلك انظر: البغدادي، الفرق، ص ٧٩.

(٢٦) البلاذري، فتوح، ص ٩١.

(٢٧) أصدر الخليفة أبو بكر أمرًا عقب القضاء على الردة يمنع بموجبه المرتدين من الانخراط في جيوش الفتح.

انظر: الطبري، تاريخ ج٣، ص ٣٤٧. ثم سمح لهم انظر: المصدر السابق، ج٤، ص ٧٠ـ ٧١. أما بخصوص المصادرات التي تعرضت لها ممتلكات القبيلة فقد جاءت نتيجة لاتفاقية الهدنة، الموقعة بين المسلمين وبني حنيفة. عن تفاصيل تلك المصادرات انظر: محمد حميد الله، الوثائق السياسية، ص ٢٩٦.

(٢٨) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٩

(٢٩) المصدر السابق، ج٤، ص ٧٢

(٣٠) البلاذري، فتوح، ص ١٢٨.

(٣١) انظر رأي عبد الله السيف بهذا الخصوص في كتابه الحياة الاقتصادية والاجتماعية، ص ٧٣.

(٣٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص ٢٨٧.

(٣٣) المصدر السابق، ج ٢٠، ص ١٧١.

(٣٤) المصدر السابق، ج٢١، ص ٢٣٠ـ٢٣٨.

(٣٥) الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص ٦٧.

(٣٦) ياقوت، معجم البلدان، ج٢، ص ١٦١.

(٣٧) المصدر السابق، ج٢، ص ٤٧٨.

(٣٨) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ١٩٣.

(٣٩) النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٤٤.

(٤٠) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٤، ص ٢٠١.

(٤١) الجاحظ، البيان والتبيين، ص ٢٨٣.

(٤٢) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٥٢.

(٤٣) يعتقد كل من كيتاني وآشتور أن انتشار تلك الأمراض الوبائية وصل إلى مناطق واسعة خارج العراق.
انظر آشتور، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، ص ٢٢٠.

(٤٤) Caetani, Chronographia, vol. III,p. 102

(٤٥) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٥٢٢. الازرقي، أخبار مكة، ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧ ويُعرف بسيل (الحجاف) وسيل (المخبل).

(٤٦) ابن خرداذبة، المسالك والممالك، ص ١٥ ويذكر أبو يوسف والماوردي أن حفر الآبار وكراؤها وكل مافيه مصلحة لأهل الخراج في أرضهم وأنهارهم تتحمل الدولة نفقات العمل وتدفعها من بيت المال. انظر: أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ١٣١. الماوردي، الأحكام السلطانية، ص ١٧٤.

(٤٧) يرى آشتور أن منطقة الشرق الأوسط بكاملها شهدت هجرات واسعة من القرى الزراعية إلى المدن، وربما من مناطق إلى أخرى جديدة. ويرى كذلك أن هذا النزوح استمر بدرجات متفاوتة منذ القرن الأول حتى الخامس من الهجرة. انظر كتابه السابق، ص ٢١٩.

(٤٨) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٣، ص ٣٥٢.

(٤٩) البلاذري، فتوح، ص ١٢٨، ص ١٥١ وكذلك الكندي، الولاة والقضاة، ص ٣٦٤. ولقد ناقش آشتور تلك النقطة بإسهاب مفيد انظر كتابه السابق، ص ٥٠.

(٥٠) آشتور، المصدر السابق، ص ٨٠ وما بعدها. بخصوص شكاية الراعي النميري جباة الزكاة انظر القرشي، جمهرة أشعار العرب ج٢، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٣.

(٥١) انظر مناقشة عبد الله السيف لرواية وردت عند ابن قتيبة في: (الامانة والسياسة، ج ١، ص ١٧٧). وكيف استنتج أن ثمن الحنطة مرتفع في الحجاز أيام أزمة الحرة. انظر عبد الله السيف، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٥٢) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٧٦.

(٥٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٤٩ ومابعده. إن قائمة ابن سعد، وكذلك أسماء العلماء من بني حنيفة الذين ذكرهم خليفة بن خياط في (كتاب الطبقات، ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠) وابن أبي حاتم الرازي في (الجرح والتعديل، ج١، ص ص ٢٥٣ ـ ٢٥٧) وابن عساكر في (التاريخ الكبير، ج٢، ص ٦٩) والذهبي في (الكاشف، ج١، ١٩٧) كل هذه الأسماء لتدل دلالة واضحة على ما كانت عليه اليمامة من نشاط ثقافي وازدهار فكري وعلمي.

(٥٤) انظر قائمة العلماء من بني حنيفة الذين استقروا في اليمامة وفي الأمصار الإسلامية في: البستي،

علماء الأمصار، ص ١٤٨ وما بعدها. وانظر كذلك قائمة العلماء من بني حنيفة في : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج٥، ص ٥٤٩ وما بعدها.

(٥٥) حمد الجاسر، قبيلة جهينة وفروعها، مجلة العرب، ج١٢، سنة ١٩٦٧، ص ١١٣٩ وانظر رأي الأصفهاني في تمدن بني حنيفة وبعدها عن البداوة. الأغاني، ج١١، ص ٥٠.

(٥٦) شارل بللا، الجاحظ، ص ٨٩.

(٥٧) صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٥٦.

(٥٨) مع تعدد وتناقض روايات سبي النساء والأطفال في اتفاقية تسليم اليمامة، يصعب التنبؤ بعدد النساء. هناك إشارة إلى أن الخمس الذي أُرسل من سبي اليمامة إلى المدينة وصل إلى ٥٠٠ نسمة. انظر: الطبري، التاريخ، ج٣، ص ٣٠٠.

(٥٩) المصدر السابق.

(٦٠) انظر بعض قصص التهكم التي تحاك ضد بني حنيفة من مثل ما أورده الجاحظ نقلاً عن الأصمعي من حلم رآه أحد وجهاء البصرة وطلب من ابن سيرين تأويلاً له. وهذه القصة وأمثالها تجعل إخفاء النسب أمرًا مقبولاً لدى بعض بني حنيفة للتخلص من موجة الاستهزاء والتهكم. الجاحظ، الحيوان، ج٤، ص ٣٦٨. يقول الشاعر علي بن هوذة بن علي الحنفي معتذرًا عن بني حنيفة، وموضحًا أنهم حملوا ذنب الردة دون سائر قبائل العرب. وقد أورد القصيدة عبد الله بن خميس في: تاريخ اليمامة، ج ٤، ص ٢٥

رمتنا القبائل بالمنكرات وما نحن إلا كمن قد جحد
ولسنا بأكفر من عامر ولا غطفان ولا من أسد
ولا من سليم وألفافها ولا من تميم وأهل الجند
ولا ذي الخمار وقومه ولا أشعث العرب لولا النكد
ولا من عرانين من وائل بسوق النجير وسوق النقد

(٦١) يقول البستي أن أكثر المهاجرين من بني حنيفة في العصر الأموي اشتغل بالجهاد، ولم يتفرغ للعلم إلا القليل منهم. انظر كتابه السابق، ص ٢٠١.

(٦٢) ابن سلام، كتاب الأموال، ص ١٣٣.

(٦٣) على سبيل المثال انظر ما حدث لقبيلة جهينة وفروعها في: حمد الجاسر، المقالة السابقة. وكذلك انظر جواد علي، المصدر السابق، ج٤، ص ٣٧٠ وما بعدها.

(٦٤) مع أن تتبع هجرات قبيلة بني حنيفة في العصر الراشدي هو مقدمة لمعرفة تواصل هجرات القبيلة في العصر الأموي، إلا أنه خارج نطاق البحث.

(٦٥) الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٣١٩. لا يستبعد أن تكون قبيلة بني حنيفة ضمن قبيلة ربيعة التي اعتادت أن تغير على أراضي الدولة الساسانية، وقد سماهم العرب (ربيعة الأسد)

انظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٨٧ ويرى المؤرخ الروسي بارثولد أن عددًا من بني حنيفة ربما تقلد مراكز مرموقة في الإدارة والبلاط الساساني. انظر: Barthold, (Musaylima) in BA-SURSS, pp. 485-511

(٦٦) انظر مناقشة هذه الأراء في: Donner, The Early Islamic Conquest, p. 231

(٦٧) Ibid.

(٦٨) Ibid.p. 250

(٦٩) القلقشندي: صبح الأعشى، ج١، ص ٣٣٩.

(٧٠) الطبري، تاريخ، ج ٣، ص ٣٤٧. كان أبو بكر يرى أن يستقر الذين فتحوا العراق في العراق نفسها، وألا يهاجروا إلى مناطق الفتوح الجديدة. ورد ذلك في وصية أبو بكر لخليفته عمر: «. . . إذا فتح الله على أهل الشام فأردد أهل العراق إلى العراق، فإنهم أهله وولاة أمره، وأهل الجراءة عليه» انظر ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج٢، ص ١٧٥.

(٧١) ويقال لها وقعة القرقس أو القُس قُس الناطف أو المروحة. انظر عن هذه المعركة: الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٤٥٤.

(٧٢) البلاذري، فتوح، ص ٢٤٢.

(٧٣) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٨٦.

(٧٤) المصدر السابق، ج٤، ص ٤٥.

(٧٥) المصدر السابق، ج٥، ص ٧٩.

(٧٦) البلاذري، فتوح، ص ٣٥٠.

(٧٧) صالح العلي، امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٢٦.

(٧٨) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ج ٨، ق ١ـ٢، ص ٢٨٩.

(٧٩) الأصفهاني، الأغاني، ج٩، ص ٣٤.

(٨٠) أبو يوسف، كتاب الخراج، ص ٧٦.

(٨١) الأصفهاني، الأغاني، ج ٣، ص ٢٥٧.

(٨٢) اليعقوبي، كتاب البلدان ص ٧٥.

(٨٣) البلاذري، فتوح، ص ٣٧٢.

(٨٤) ابن حبيب، المحبر، ص ١٦٨.

٨٥) المصدر السابق، ص ١٦٨.

(٨٦) الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٣١٥، الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٥٧.

(٨٧) الأصفهاني، الأغاني، ج٣، ص ٢٥٧.

(٨٨) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص ٣٣٣.

(٨٩) البلاذري، فتوح، ص ٣٧٢ يقول الطبري كان باليمامة قبل الإسلام جماعة من الفرس يدعون (آزاذبة) خرج بعضًا منهم مع خالد بن الوليد في مسيره إلى العراق. انظر: الطبري، تاريخ، ج٣، ص ٣٤٧.

(٩٠) انظر الجدول الذي وضعه صالح العلي في: التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٣٢٢

(٩١) المصدر السابق، ص ٣٢٣.

(٩٢) تتردد عبارات كثيرة في كتب البلدان مثل «بها قوم من العرب أو يسكنها كثير من العرب أو أخلاط من العرب والعجم» انظر على سبيل المثال اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٨٦ ـ ٨٧، ص ٨٩ ـ ٩٠.

(٩٣) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الرابع، ج١، ص ٤٦٦.

(٩٤) نصر بن مزاحم، وقعة صفين، ص ٢٠٥.

(٩٥) الطبري، تاريخ، ج٥، ص ٣٤.

(٩٦) انظر القائمة في: صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة، ص ٣٤٢ وما بعدها

(٩٧) البلاذري، أنساب الأشراف، القسم الرابع، ج ١، ص ٣٨٧.

(٩٨) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ١٠٨.

(٩٩) انظر كيف حسب صالح العلي سكان الكوفة معتمدًا على رواية سيف بن عمر وبشر بن عبد الوهاب القرشي في: امتداد العرب في صدر الإسلام، ص ٢٦ وما بعدها.

(١٠٠) انظر مناقشة هذه المسألة عند صالح العلي، المصدر السابق، ص ٢٦ وما بعدها

(١٠١) الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٤٩.

(١٠٢) عن روادف الكوفة انظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص ٤٥ وما بعدها

(١٠٣) المصدر السابق، ج٤، ص ٤٥.

(١٠٤) المصدر السابق، ج٢، ص ٥٧.

(١٠٥) المصدر السابق، ج٤، ص ٢٤٦. التعديلات التي أدخلها عثمان بن عفان على النظام السابق، والذي سبق أن أقره عمر بن الخطاب، تقضي بأن تكون البصرة مسؤولة عن الفتوحات في كل من فارس وكرمان وأصبهان، وأن تكون الكوفة مسؤولة عن الفتوحات في كل من أصفهان واذربيجان والري. انظر: الطبري، تاريخ، ج٤، ص ١٣٧. وكذلك انظر: خليفة بن خياط، تاريخ، ج١، ص ١٤٨.

(١٠٦) البلاذري، فتوح، ص ٣٢٩. اتخذ الإمام علي إجراء يقضي بتهجير معارضيه. يقول نصر بن مزاحم: (دعى علي قبيلة باهلة وقال يا معشر باهلة أشهد الله أنكم تبغضوني وأبغضكم، فخذوا

عطاءكم واخرجوا إلى الديلم . وكانوا - أي باهلة - كرهوا أن يخرجوا معه إلى صفين» انظر: وقعة صفين، ص ١٣٠ . ومعلوم أن باهلة كانت قد هاجرت من اليمامة إلى الكوفة، ولا يستبعد أن يكون من بين صفوفها عدد من بني حنيفة، الذين يمتهنون الصناعة أو التعدين أو الزراعة .

(١٠٧) انظر القائمة ومصادرها في: صالح العلي، التنظيمات، ص ٣٢٧ - ٣٤٣ .

(١٠٨) الطبري، تاريخ، ج ٥، ص ٢٢٥

(١٠٩) المصدر السابق، ج ٥، ص ١٧٢ .

(١١٠) المصدر السابق، ج٥، ص ٢٢٥، ص ٢٨٦ **قال أنس:**

ألا من مبلغ عني زيادًا   مغلغلة يخب بها البريد
أتعزلني وتطعمها خليدًا   لقد لاقت حنيفة ما تريد
عليكم باليمامة فاحرثوها   فأولكم وآخركم عبيد

(١١١) انظر رواية المدائني في الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٥١٢

(١١٢) الطبري، تاريخ، ج٦، ص ٥٠٩، ص ٥١٠ . وبخصوص استقرار عشائر بكر بن وائل في خراسان والدور الذي لعبوه في تاريخها السياسي والاقتصادي. انظر: ناجي حسن، القبائل العربية في المشرق، ص ١٦٣ وما بعدها .

(١١٣) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٤٢ بخصوص تحالف بني حنيفة وعجل انظر: الأصفهاني، الأغاني، ج١١، ص ٥٠ .

(١١٤) لعل لطبيعة بلاد الشام ومناخه، ولوجود هجرات عربية سابقة أثر في توزيع وتوجه المهاجرين إلى المدن. يقول أحد الشعراء المهاجرين:

دمشق لي دون الناس اجمعهم   وساكنيها سأهويهم إلى العطب

انظر البلاذري، فتوح، ص ١٢٩ .

(١١٥) Donner, The Early Islamic Conquest, p. 250

(١١٦) صالح العلي، امتداد العرب، ص ٧ .

(١١٧) ابن الأبار، أعتاب الكتاب، ص ٣٥٦ . عن الطوالع انظر: حسين مؤنس، فجر الأندلس، ص ٣٥٦

(١١٨) المبرد، الكامل، ج٣، ص ١٨٤ .

(١١٩) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٨٧ - ٨٨ وما بعدها . وبخصوص هجرة بكر بن وائل إلى فلسطين انظر: القلقشندي، صبح الأعشى، ج١، ص ٣٣٨

(١٢٠) عن الجزيرة انظر: البلاذري، فتوح، ص ١٢٤ - ١٧٦ .

(١٢١) المصدر السابق

(١٢٢) ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٩٥ - ٢٠٠ .

(١٢٣) ياقوت، معجم البلدان، ج٤، ص ٢١٩.

(١٢٤) ابن عبد الحكم، فتوح مصر، ص ١١٦.

(١٢٥) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص ٢٣٤.

(١٢٦) عبد الله خورشيد البري، ص ٥٢ وانظر: ابن حوقل، صورة الأرض، ص ١٤١. وعن تأسيس القرى وحفر الأبار، ووصول هجرات عشائر ربيعة إلى أسوان وسواكن، انظر: المقريزي، البيان والأعراب عما بأرض مصر من الأعراب، ص ٤٨.

(١٢٧) عبد الواحد ذنون طه، الفتح والاستقرار العربي، ص ٢٣٩ـ٢٤٢.

(١٢٨) ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٢٤٦ ص ٢٩٠، ص ٣٢١. وانظر المقري، نفح الطيب، ص ٢٩٢.

(١٢٩) النويري، نهاية الأرب، ج ١٩، ص ١٤٤. عن معادن اليمامة انظر: الهمداني، صفة جزيرة العرب، ص ٢٩٩.

المصادر والمراجع

آشتور: E. Ashtor

ـ التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، ترجمة عبد الهادي عبلة، دار قتيبة، دمشق ١٩٨٥م.

ابن الأبار: محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي.

ـ أعتاب الكتاب، تحقيق محمد صالح الأشتر، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٦١م.

ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد

ـ الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت ١٩٦٥م.

الأشعري: أبو الحسن علي بن إسماعيل.

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٦٩م.

الأصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين.

ـ كتاب الأغاني، ٢٤ جزءًا تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون (الأجزاء ١ ـ ١٦ طبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٢٣م ـ ١٩٢٩م، والأجزاء ١٧ ـ ٢٤ طبعة الهيئة المصرية، القاهرة ١٩٧٠م ـ ١٩٧٤م)

الألوسي: محمود شكري

ـ بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، تحقيق محمد بهجت الأثري، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٣٤٢.

بارثولد: Barthold, V.V.

(Musaylima) Bulletin de l'academie des science de l'union des republiques sovietiques socialistes, XIX, sep. & nov. 1925

بتلر: ألفرد

ـ فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد أبو حديد، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٣٣م

بروكلمان: كارل

ـ تاريخ الشعوب الإسلامية، ترجمة نبيه فارس وآخرون، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٦٨م.

البري: عبد الله خورشيد.

ــ القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٧م.

البستي: أبو حاتم محمد بن حبان

ــ مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تحقيق مرزوق علي إبراهيم، مؤسسة الكتب الثقافية، القاهرة ١٩٦٧م.

البغدادي: عبد القادر بن طاهر

ــ الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد، مطبعة المدينة، القاهرة ١٩٦٤م.

البكري: أبو عبيد الله بن عبد العزيز

ــ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٥م-١٩٤٩م.

البلاذري: أبو العباس أحمد بن يحي

ــ فتوح البلدان، تحقيق M.G.de Goege، ليدن ١٨٦٦.

ــ أنساب الأشراف، القسم الرابع، الجزء الأول، تحقيق إحسان عباس، فرانز شتاينر، فيسبادن ١٩٧٩م.

بللا: شارل

ــ الجاحظ، ترجمة إبراهيم الكيلاني، دار الفكر، دمشق ١٩٨٥م

أبو تمام: حبيب بن أوس

ــ الحماسة، تحقيق عبد الله عسيلان، نشر المجلس العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ١٤٠١هـ.

الجاحظ: أبو بحر عمرو بن بحر

ــ الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دارالكتاب العربي، القاهرة ١٩٦٨م.

ــ المحاسن الأضداد، تصحيح عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، بيروت ١٩٨٦م.

ــ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، القاهرة ١٩٧٥م.

الجاسر: حمد

ـ قبيلة جهينة وفروعها، مجلة العرب، ج ١٢، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٩٦٧م.

جوزي: بندلي صليبا

ـ من تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام، القدس ١٩٤٨م.

ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس.

ـ الجرح والتعديل، حيدر أباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٢م.

ابن حبيب: أبو جعفر محمد البغدادي

ـ كتاب المحبر، تحقيق إيلزة ليختن شتيتر، دار الآفاق الجديدة، بيروت.

حتي: فيليب

ـ تاريخ العرب (مطول)، دار الكشاف، بيروت ١٩٥٨م.

الحديثي: نزار

ـ اليمامة وردة مسيلمة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد ١٩٧١م.

ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد.

ـ جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.

حسن: ناجي

ـ القبائل العربية في المشرق خلال العصر الأموي، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨٠م.

حسين: محمد كامل

ـ أدب مصر الإسلامية، دار الكشاف، بيروت ١٩٤٨م.

حميد الله: محمد

ـ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الارشاد، بيروت ١٩٦٩م.

ابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي النصيبي

ـ صورة الأرض، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٩٧٩م.

ابن خرداذبة: أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله بن أحمد الخراساني

ـ المسالك والممالك، تحقيق M.J de Goeje ليدن، مطبعة بريل ١٨٨٩م.

ابن خميس : عبد الله بن محمد

ـ تاريخ اليمامة، الجزء الرابع، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض ١٤٠٧هـ.

دونر : Fred M. Donner

The Early Islamic Conquest, Princenton Univ. Press, Princeton 1981 -

الذهبي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان

ـ الكاشف في معرفة من لـه رواية في الكتب الستة، تحقيق عزت علي عطية وآخرون، دار الكتب الحديثة، القاهرة ١٩٧٢م.

سبط ابن الجوزي : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قزا أوغلي

ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيـان، الجزء الثامن، القسم الأول والثاني، حيدر أبـاد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ١٩٥٢م.

ابن سعد : محمد بن سعد البصري

ـ الطبقات الكبرى، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٧٦م.

ابن سلام : أبو عبيد القاسم

ـ كتاب الأموال، تحقيق محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م.

السيف : عبد الله

ـ الحياة الاقتصادية والاجتماعية في نجد والحجاز في العصر الأمـوي، جامعة الـرياض، ١٤٠٣هـ.

شلبي : أحمد

ـ موسوعة التاريخ الإسلامي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٢م.

الطبري : محمد بن جرير.

ـ مختصر جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق واختصار محمد الصابوني وآخرون، دار القرآن الكريم، بيروت ١٩٨٣م.

ـ تاريخ الرسل والأمم، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٢م.

طه : عبد الواحد ذنون

ـ الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال أفـريقيا والأندلس، منشورات وزارة الثقـافة والاعلام، بغداد ١٩٨٢م.

ابن عبد الحكم : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله

- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق Charles C. Torrey ليدن، مطبعة بريل ١٩٢٠م.

أبو عبيدة: معمر بن المثنى

- نقائض جرير والفرزدق، تحقيق Anthony Shley Bevan، مطبعة بريل، ليدن ١٩٠٥م.

ابن عساكر: علي بن الحسن الدمشقي

- التاريخ الكبير، تصحيح عبد القادر بدران، مطبعة روضة الشام، دمشق ١٣٢٩ - ١٣٣٢هـ. العسكري: أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد.
- شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف، تحقيق عبد العزيز أحمد، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.

العصفري: أبو عمر خليفة بن خياط

- كتاب التاريخ، تحقيق، أكرم ضياء العمري، دار طيبة، الرياض ١٩٨٢م.
- كتاب الطبقات، تحقيق أكرم ضياء العمري، مطبعة العاني، بغداد ١٩٦٧م

علي: جواد،

- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٦م.

العلي: صالح،

- امتداد العرب في صدر الإسلام، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٣م.
- التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٩م.

الغزي: عبد العزيز،

A comparative Study of Pottery from a Site in al-Kharj - Valley Central Arabia, Unpublished Thesis, Univ. of London, Institute of Archaeology 1990.

أبو الفداء: عماد الدين إسماعيل

- كتاب تقويم البلدان، تحقيق M.Reinaud et. al ، باريس ١٨٤٠م.

ابن قتيبة: أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري

- المعارف، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٩م.
- الإمامة والسياسة، تحقيق طه الزيني، القاهرة ١٩٦٧م.
- عيون الأخبار، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٢٥م - ١٩٣٠م.

ـ الشعر والشعراء، تحقيق محمد يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٤م.

القرشي: أبو محمد بن يوسف بن يعقوب

ـ جمهرة أشعار العرب، دار مكتبة الهلال، بيروت ١٩٩١م.

القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي

ـ صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق عبد اللطيف حمزة، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة ١٩٦٢م.

ابن الكلبي: هشام بن محمد بن السائب.

ـ جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن، مكتبة النهضة المصرية، بيروت ١٩٨٦م.

الكندي: أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب

ـ الولاة والقضاة، تحقيق Rhuvon Guest، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨م.

كيتاني: Caetani Leone

ـ Chronographia Islamica, III, Paris 1912

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب

ـ الأحكام السلطانية والولايات الدينية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٣م.

المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد

ـ الكامل في اللغة والأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخرون، دار نهضة مصر، القاهرة.

المقريزي: أبو العباس أحمد بن علي

ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مطبعة النيل، القاهرة ١٣٢٤ ـ ١٣٣٦هـ.

ـ البيان والاعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق إبراهيم رمزي، مطبعة المعارف، القاهرة ١٩١٦م.

المقري: شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني:

ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م.

المنقري: نصر بن مزاحم

ـ وقعة صفين، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية الحديثة، القاهرة ١٣٨٢هـ.

مؤنس: حسين

- فجر الأندلس، الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٥٩م.

النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب، القاهرة ١٩٢٥م.

الهمداني: الحسن بن أحمد بن يعقوب

- صفحة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، الرياض ١٣٩٤هـ.

ولفنسون: إسرائيل.

- تاريخ اللغات السامية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٢٩م.

ياقوت: شهاب الدين أبي عبد الله بن عبد الله الحموي

- معجم البلدان، تحقيق محمد أمين الخانجي، مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٣هـ.

اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح

- كتاب البلدان، السلسلة الجغرافية ٦، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٨م.

أبو يوسف: يعقوب بن إبراهيم الأنصاري

- كتاب الخراج، تصحيح محمد الحسيني، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٣٠٢هـ.